العهد

وأوفوا بالعَهدِ إنّ العَهدَ كان مسؤولاً

الخميس 16 رجب 1435 الموافق 15 مايو 2014 | العدد التاسع والعشرون | 16 صفحة | www.al3ahdnewspaper.com

إعلان ميثاق الشرف الثوري للكتائب المقاتلة في سورية

أعلنت عدد من أهم القوى الثورية المقاتلة في سورية عن ميثاق شرف ثوري للكتائب المقاتلة في سوريا، تضمن ١١ نقطة ، كان من أبرزها «التعهد بالتزام حقوق الإنسان ، والسعي لإقامة دولة العدل في سورية بعد زوال نظام الأسد». وأشار الميثاق، إلى أن الثورة تستهدف عسكريا نظام الأسد ومن يسانده كمرتزقة إيران و»حزب الله» ولواء أبي الفضل العباس ، وكل من يعتدي على الشعب السوري ويكفرهم كداعش. كما تضمن الميثاق ، الالتزام بتحييد المدنيين في دائرة الصراع ، والتنازل عن امتلاك أسلحة دمار شامل في سورية مستقبلاً، بالإضافة للحفاظ على وحدة التراب السوري ومنع أي مشروع تقسيمي. وأكد الميثاق على أن هدف الثورة السورية هو إسقاط النظام بكافة رموزه وركائزه، وتقديم المجرمين إلى محاكمة عادلة بعيداً عن الثأر والانتقام. كما دعا الموقعون على الميثاق باقي الفصائل المقاتلة لمشاركة الميثاق، وتوحيد الجهود في إسقاط النظام .

حرية الترهيب

ليست حرية أن ترهب الناس أو تعرض حياتهم للخطر، وليست صحافة أن تنشر أسماء سرية لشهود في قضية قد تجعلهم يدفعون حياتهم ثمنها. لكل حرية ضوابط، وإلا صار من يضر بالآخرين حرا فيما يفعل، ومن باب أولى يصبح الذي يضر بنفسه حرا فيما يقوم به، لكن القوانين جرمت ذلك ... 7

المناطق المحاصرة والمناطق المفتوحة.. فجوة الاختراق

لطالما بقيت فكرة «المجتمعات المغلقة، الدولة المغلقة، الحدود المغلقة...» نظرية بحتة يستخدمها الأكاديميون في دراستهم لتبسيط دراسة «الظاهرة»؛ فالحركية الدائمة تحد من قدرة الدارس على استخلاص النتائج، ومع تطور الأحداث في الثورة السورية بدأت ... 13

الاستهلاك وصوت الفقير الضائع

بنى الغرب -وتحديدا الولايات المتحدة الأمريكية- نموذج «السعار الاستهلاكي» اللامحدود بوصفه قيمة للحياة ومعنى وهدفا من الوجود، وانصبغ المجتمع الأمريكي بهذا النهج، وغدا سلوك الاستهلاك سلوكا روتينيا يوميا ومسلما من مسلمات حضارة الفردوس المزعومة، وقررت ما أطلق عليها ... 14

جنود الدعوة.. الأديب محمد الحسناوي

الأديب «محمد الحسناوي» من مواليد عام ١٩٣٨، ابن العاصي من مدينة «جسر الشغور»، عده بعضهم علما من أعلامها، نشأ في أسرة متواضعة. أتم دراسته الإعدادية في «اللاذقية» واختلط بالإخوان وتأثر بدعوتهم، ثم انتقل إلى «دمشق» للدراسة الثانوية لينجح في مسابقة دار المعلمين، ويلتحق بكلية الآداب بجامعة دمشق لينال ... 11

تقارير

ما في جعبة الأمريكيين لا يسر خاطر السوريين

العهد - سحبان مشوح

لم تتجاوز ردود الفعل الأمريكية على فشل مفاوضات جنيف٢ في شباط /فبراير الماضي، وعلى إعلان نظام الأسد تنظيم انتخابات رئاسية في يونيو/حزيران المقبل؛ أكثر من إغلاق السفارة السورية في «واشنطن»، و»مؤخرا» اعتبار مكتب ممثل الائتلاف في واشنطن بعثة دبلوماسية من غير أن يتمتع مندوب الائتلاف بالحصانة الدبلوماسية، ومن غير أن يكون في مقدور البعثة توفير خدمات قنصلية للمواطنين السوريين المحرومين من وثائقهم. كما أن ردود الفعل الأمريكية تجاه ما شهدته «حمص» في الأيام القليلة الماضية، وما تعرض له المدنيون في حلب وغيرها لم تتجاوز وعودا بزيادة مساعدات واشنطن غير القتالية لمقاتلي «المعارضة السورية المعتدلة»، وتقديم مساعدة إضافية بقيمة ٢٧ مليون دولار، مما يرفع القيمة الإجمالية للمساعدة إلى ٢٨٧ مليون دولار. وقد قال المتحدث الإقليمي باسم الخارجية الأميركية «جوشوا بيكر» إن واشنطن لا ترغب في تسليح المعارضة السورية إلى الآن، على الرغم من أن الهدف الرئيس من زيارة وفد الائتلاف إلى الولايات المتحدة الذي أعلنه مكتب رئيسه كان مطالبة الإدارة الأميركية بتزويد الفصائل العسكرية التي تقاتل تحت مظلة الائتلاف بأسلحة نوعية لمواجهة طائرات ودبابات النظام السوري التي تقتل عشرات الأشخاص يوميا. في حين عد رئيس الائتلاف السوري «أحمد الجربا» القرار الأمريكي «مرحلة مهمة على طريق سورية الجديدة على صعيد الاعتراف بها على الساحة الدولية، وعلى مستوى علاقات السوريين مع الولايات المتحدة»، لافتا إلى أن الإجراء الأميركي يشكل «ضربة دبلوماسية» لشرعية الرئيس بشار الأسد.

التفاصيل صفحة (٣)

تصريح صحفي
من جماعة الإخوان المسلمين في سورية

أيها الشعب التركي الوفي.. مصابك مصابنا وألمك ألمنا

لعل عبارات المواساة ومشاطرة الأحزان التقليدية لا تفي الشعب التركي وحكومته حقهما لما أصابهما في الفاجعة الأليمة التي ألمت بعمال منجم الفحم في محافظة مانيسا غربي البلاد.
وإننا لنعتقد جازمين أن كل #سوري أحس بألم الفقد لما أصاب أهلنا وأشقاءنا الأتراك جراء هذا المصاب المفجع .. كيف لا؟! .. وقد كان الأتراك الأشقاء شعبا وحكومة الأهلَ والعشيرةَ والإخوة لكل سوري في ثلاث سنوات عجاف أذاقنا فيها نظام الأسد ويلات القتل والتهجير والتدمير وكل شرور الأرض.
كما أننا في جماعة الإخوان المسلمين في سورية نعرب وبكل أسى وإيمان بقضاء الله وقدره عن صادق تعازينا وخالص مواساتنا لأهالي من نحسبهم شهداء ممن قضوا في هذا الحادث الأليم، ولجميع الأتراك شعبا وحكومة .. داعين الله أن يتغمد الشهداء بواسع رحمته، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمن على المصابين بالشفاء العاجل والعافية التامة.

جماعة الإخوان المسلمين في سورية
المكتب الإعلامي

تحقيقات 5

التسول مهنة للبعض في الداخل وتشويه لسمعة السوريين في الخارج

ملف العدد 8

بعدما فجروا ثورة الحرية والكرامة.. نظام الأسد ينتقم من أطفال سورية

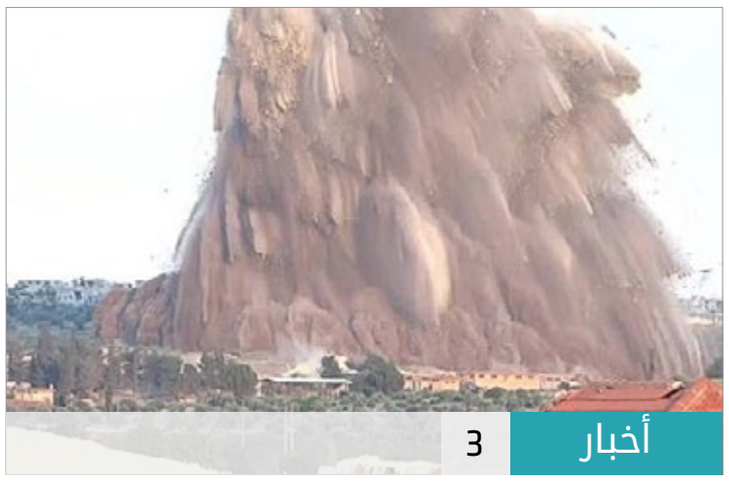

أخبار 3

الثوار ينسفون حاجز القيادة المشتركة في وادي الضيف

صفحة 4

العمال السوريون في تركيا: رحلة من البحث، ومعاناة مستمرة

تشعر للوهلة الأولى وأنت تسير في مدينة «غازي عنتاب» التركية بأنك في إحدى المدن السورية، لولا واجهات المحال التجارية التركية والتي بدأت هي الأخرى تمتزج بالكتابات العربية؛ فقد شكلت مدن الجنوب التركي ملجأ كبيرا للسوريين الفارين من جحيم الموت، إلا أن المعاناة لم تنته بوصول هؤلاء إلى «تركيا» سالمين، فالمحظوظ منهم من يتمكن من إيجاد فرصة عمل يستطيع خلالها تأمين لقمة العيش، فالمثل الشعبي السوري «لا أحد يموت من الجوع» تغير في نظر السوريين في تركيا إلى «من لا يعمل لا يعيش» ...

هدنة حمص.. استراحة محارب بعد عامين من الصمود الأسطوري

العهد – أحمد خليل

بعد صمود «أسطوري» استمر أكثر من عامين في وجه حصار خانق وقصف متواصل من قبل قوات الأسد، قرر من تبقى من ثوار أحياء حمص المحاصرة وأهاليها وعددهم ١٥٠٠ شخصا الخروج منها، وذلك وفقا لاتفاق هدنة أبرم مؤخرا بين ثوار المدينة والجبهة الإسلامية مع نظام الأسد تحت إشراف فريق من الأمم المتحدة. نص اتفاق الهدنة على خروج الأهالي والثوار بأسلحتهم الخفيفة والتوجه إلى بلدة «الدار الكبيرة» بالريف الشمالي، وفك الحصار عن حي «الوعر»، تزامنا مع إفراج الجبهة الإسلامية عن محتجزين لديها من عناصر النظام، بينهم إيرانيون وعراقيون وعناصر من «حزب الله» اللبناني وضابط روسي، كما تضمن الاتفاق أيضا إدخال مساعدات إنسانية إلى بلدتي «نبل» و«الزهراء» الموليتين لنظام الأسد في ريف حلب.

وأشار الإعلامي «رامي سعيد» إلى أن وسائل إعلام النظام حاولت تصوير موافقته على الهدنة في حمص وكأنها انتصار تاريخي له، ولكن الحقيقة أن النظام توخى السرية في أثناء المفاوضات مع الثوار خشية ردود أفعال الأهالي و«جيش الدفاع الوطني» في الأحياء الموالية له، الذين يتهمونه بعقد هدن في الماضي تجاهلتهم لصالح الإيرانيين.

وأوضح سعيد أنه بعد رضوخ النظام للشروط التي وضعها الثوار للخروج الآمن من الأحياء المحاصرة أعلن عن الهدنة في وسائل إعلامه.

بدوره قال أحد مقاتلي الجيش الحر في حمص الملازم أول «وليد العبد الله» مخاطبا زملاءه الذين خرجوا معه: «لا تحزنوا لخروج أبطال حمص وهم شامخون بأسلحتهم وبإرادتهم وشروطهم لأنهم إن شاء الله سيعودون».

تخاذل العالم عن نصرة حمص

يشعر كثير من السوريين بالخذلان بسبب تخلي العالم الديمقراطي والمتحضر عن أحياء حمص المحاصرة منذ أكثر من ٧٠٠ يوم، بعد أن تركوا النظام يمارس وحشيته فيها، ويدمر منازلها، ويهجر أهلها.

إن ما حدث في حمص ليس انتصارا للنظام بأي مقياس من المقاييس، لسبب بديهي ملخصه أن الوصول إلى مستوى ما وصل إليه هذا النظام من انحلال وانحطاط وإجرام وتردد أخلاقي وقيمي غير كفيل باحتلال مدينة بحجم حمص.

وكتب أحد أبرز أعلام الثورة السورية «عبد الباسط الساروت» الذي حمل السلاح للدفاع عن حمص على صفحته الرسمية في «فيس بوك»: «سيطر نظام الأسد على حمص، هكذا جاء في أخبار العالم، ولم يذكروا خبر موت إنسانيتهم وضمائرهم». وأضاف الساروت حينما وصلت مع الثوار إلى الريف الشمالي مغادرين أحياء حمص القديمة كنت أتوقع ألا أجد أحدا في استقبالنا لشعور كنت أشعره ألا وهو الخجل والحياء من ثوار حمص لأنهم قصروا معهم، ولكن العجيب أني رأيت في استقبالنا جيوشا جرارة وبكامل أسلحتهم.

وتابع الساروت مخاطبا ثوار ريف حمص الشمالي: «طالما أنتم بهذا العدد والعتاد لماذا تركتمونا؟».

الهدنة انتصار للثوار

إن هدنة حمص كما يراها كثيرون انتصار بحد ذاته للثوار، فهي انتزعت اعترافا بشرعيتها من نظام الأسد برعاية دولية، مما يعني أن كتائب الثوار في المستقبل قد تفاوض على أمور أكثر أهمية.

من جهته اعتبر عضو الهيئة السياسية في الائتلاف الوطني السوري «أحمد جقل» صمود ثوار حمص لـ ٧٠٠ يوم في ظل الحصار الخانق الذي فرضه نظام بشار الأسد، بأنه «صمود نوعي وتاريخي». وأكد جقل أن حمص هي عاصمة الثورة، والثوار لن يتخلوا عنها أبدا، وقد عد خروج الثوار من الأحياء المحاصرة خروجا مشرفا يليق بالأبطال، وسيعودون قريبا لتحرير حمص كاملة، والثورة مستمرة ضد الطاغوت، والثوار وافقوا على الهدنة إنقاذا لمن تبقى من مدنيين في حي الوعر، والذين يقدر عددهم بـ ٦٠٠٠ آلاف مدني.

إن اتفاق حمص أنقذ أرواحا كثيرة كانت ستزهق لو لم تحدث، وقد تكون الهدنة إنجازا إنسانيا يسهم في لملمة جراح كثير من المتضررين من حصار حمص، غير أنها في نهاية المطاف تشير إلى أن تغييرا حدث في قواعد الحرب التي لم تهدأ منذ ما يزيد على ٣ سنوات.

اشتباكات متواصلة في أحياء حلب وبلداتها

العهد - خاص

تشهد مدينة «حلب» اشتباكات على جبهاتها كافة، ولاسيما جبهة «الشيخ نجار» و«البريج» وجبهة «جمعية الزهراء» و«الراموسة»؛ يحاول الثوار في جبهة الراموسة وجمعية الزهراء التقدم باتجاه نقاط القوة الموجودة لدى النظام في مدينة حلب، من مثل «المخابرات الجوية» و«مدفعية الزهراء» بجمعية الزهراء، وكذلك «كلية المدفعية» و«كلية التسليح» باتجاه الراموسة وقطع طريق الإمداد الوحيد للنظام.

قام الثوار بصد محاولات النظام التقدم من بوابة حلب الشرقية الشمالية في منطقة الصناعة «الشيخ نجار» والبريج، حيث يستميت النظام في القتال على هذه الجبهة وذلك لقطع طرق الإمداد عن الثوار، فلم يبق سوى طريق وحيد متمثل بطريق «الكاستلو الجندول»، وكان النظام قد نجح بقطع طريق «حندرات الجندول» برصده الطريق بمدافع الـ ٥٧ عند مخيم حندرات ومشفى الكندي وحي الإنذارات وبعيدين.

في سياق متصل تشهد حلب اشتباكات متقطعة في جبهات «حلب القديمة» و«الشيخ سعيد»، وجبهات الريف المتمثلة في «معرة الأرتيق» في الريف الغربي و«تلة تيارة» و«تل نعام» و«الصبيحية» في الريف الشرقي.

من جهة أخرى استمرت الطائرات المروحية والحربية بقصف أحياء مدينة حلب الخاضعة لسيطرة الثوار، من مثل «مساكن هنانو» ومحيطها والشيخ نجار ودوار البريج والحيدرية ومخيم حندرات والشيخ خضر والمرجة والهلك وبستان الباشا ومحيط مطار كويرس.

في المقابل تعاني حلب من أكبر مشكلة من الناحية الإنسانية وهي قطع مياه الشرب لليوم ١٤ على التوالي، ويتبادل النظام و«دولة الإسلام في العراق والشام» الاتهامات في قطع المياه من محطات الضخ الرئيسية للمدينة. قطع المياه دفع الناس لاستخدام مياه الآبار الملوثة للشرب مما نتج عنه حالات تسمم في صفوف المدنيين، ويقول ناشطون أن المياه بدأت بالعودة اليوم تدريجيا لمدينة حلب: أحياء الفردوس والسكري والميدان والجابرية. في السياق نفسه أعلن الكادر الطبي الموجود في مناطق سيطرة الثوار بمدينة حلب عن عجزه متابعة عمله في ظل انقطاع الطرق واشتداد القصف، وانقطاع مياه الشرب، وتزايد عدد الجرحى والقتلى الوافدين الى المشافي الميدانية.

هذا وتشهد مدينة حلب حملة عسكرية شرسة منذ أربعة أشهر تمثلت بالقصف الجوي والمدفعي، مما خلف آلاف القتلى، وخلف دمارا هائلا في المناطق السكنية، ويستهدف هذا القصف الأحياء السكنية عمدا ومن دون مبرر من قبل قوات النظام.

من جانبه يحاول النظام السيطرة على مدينة حلب أو حصارها قبيل انعقاد الانتخابات التي ينظمها نظام بشار الأسد، ويقع على عاتق الثوار مهمة غاية في الصعوبة تتمثل في الصمود أمام هذه الحملة العسكرية العنيفة التي يشنها نظام الأسد مدعوما بميليشيات «حزب الله» والميليشيا العراقية الطائفية وميليشيا ما يسمى «بالجيش الوطني».

وزير الخارجية الألماني يعلن عن عزم بلاده استقبال عشرة آلاف لاجئ سوري

رأى وزير الخارجية الألماني «فرانك فالتر شتاينماير» أن «لبنان» هو من أكثر البلدان المتأثرة بالحوادث السورية، ولفت شتاينماير خلال مؤتمر صحافي عقده مع نظيره اللبناني «جبران باسيل» إلى أن هذا الوضع أثر سلبا على الاستقرار السياسي اللبناني، مشيرا إلى أن عدد اللاجئين شكل ضغطا كبيرا، وأوضح الوزير الألماني أن لبنان بلد صغير يواجه المهمة الصعبة المتمثلة باستيعاب هذا العدد الهائل من اللاجئين، وتزويدهم بالاحتياجات كلها من عناية صحية وتربوية، وأعلن شتاينماير أن «ألمانيا» ستستقبل ١٠ آلاف لاجئ سوري من لبنان في محاولة منها مساعدة لبنان، مشيرا إلى معرفته بأنها مساعدة ضئيلة، بحسب ما أوردت المؤسسة اللبنانية للإرسال.

٣,٥ مليون سوري حصلوا على معونات الصليب الأحمر

أوضحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر «ICRC» أن عدد المستفيدين من المساعدات الإغاثية التي قدمتها اللجنة في سورية بلغ ٣,٥٠٠,٥٠٠ مستفيد، وذلك خلال السنوات الثلاث الماضية ولغاية نهاية العام الماضي، وبحسب ما نشرته اللجنة في صفحتها على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك»، وصل عدد المستفيدين من المواد الإغاثية غير الغذائية خلال المدة ذاتها إلى مليون مستفيد، وأشارت اللجنة إلى أن عدد المستفيدين من المواد الإغاثية في ٢٠١١ وصل إلى ٧٠ ألف بالنسبة للمستفيدين الذين تم توزيع مواد غذائية عليهم، مقابل ١١ ألفا تلقوا معونات غير غذائية، في حين بلغ عددهم في ٢٠١٢ حوالي ١,٥ مليون مستفيد من المواد الغذائية، مقابل ٤٠٠ ألف مستفيد من المواد غير الغذائية، وفي السياق، أشارت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين «UNHCR» في وقت سابق، إلى أنها قامت خلال العام الماضي بإيصال المساعدات الإنسانية إلى ٣,٢ مليون شخص تقريبا في سورية، وتجاوز عدد مواد الإغاثة المختلفة التي تم توزيعها ٧,٧ مليون.

عقوبات أميركية جديدة على مسؤولين في نظام الأسد

فرضت الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية جديدة ضد ٦ من كبار المسؤولين التابعين لحكومة الأسد، وبنكين مرتبطين بالنظام و٣ شركات سورية، وتستهدف العقوبات التي أعلنت عنها وزارة الخزانة الأميركية الخميس، مصرف «تمب بنك» لدعمه حكومة الأسد، و«البنك المركزي السوري»، وشركة تسويق النفط السوري، وشركتي تكرير نفط سوريتين أيضا، كما تستهدف أيضا ٦ مسؤولين في النظام بينهم مستشار الأسد العميد «بسام مرهج»، ومدير مكتب الاستعلام في القصر الجمهوري، وقال مسؤول الخزانة «دافيد كوهين» إن العقوبات ستجمد الأصول السورية وستحد من قدرتها على التعامل مع النظام المالي العالمي.

صندوق النقد يدعو لزيادة مساعدات لبنان لمواجهة تدفق اللاجئين السوريين

دعا صندوق النقد الدولي الأسرة الدولية إلى زيادة مساعداتها للبنان الذي يواجه تدفقا غير مسبوق للاجئين السوريين أدى الى إضعاف اقتصاده، وقال الصندوق في بيان صدر في ختام زيارة قامت بها بعثة منه الى بيروت إن الأزمة في سورية أدت إلى تدفق غير مسبوق للاجئين الذين يقدر عددهم حاليا بربع السكان؛ كما تأثر الوضع الأمني بشدة والمجتمعات المحلية أنهكت، وأضاف الصندوق أن المالية العامة للدولة اللبنانية أصبحت نتيجة هذه الأزمة تحت الضغط، سواء تعلق الأمر بالمستشفيات أم المدارس أم الخدمات العامة.

ما فــي جعبة الأمريكيين لا يســر خاطر الســوريين

العهد - سحبان مشوح

لــم تتجــاوز ردود الفعــل الأمريكيــة علــى فشــل مفاوضــات جنيــف٢ فــي شباط /فبرايــر الماضــي، وعلــى إعــلان نظــام الأســد تنظيــم انتخابــات رئاســية فــي يونيو/حزيــران المقبــل؛ أكثــر مــن إغــلاق الســفارة الســورية فــي «واشــنطن»، و»مؤخــرا» اعتبــار مكتــب ممثــل الائتــلاف فــي واشــنطن بعثــة دبلوماســية مــن غيــر أن يتمتــع منــدوب الائتــلاف بالحصانــة الدبلوماســية، ومــن غيــر أن يكــون فــي مقــدور البعثــة توفيــر خدمــات قنصليــة للمواطنيــن الســوريين المحروميــن مــن وثائقهــم.

كمــا أن ردود الفعــل الأمريكيــة تجــاه مــا شــهدته «حمــص» فــي الأيــام القليلــة الماضيــة، ومــا تعــرض لــه المدنيــون فــي حلــب وغيرهــا لــم تتجــاوز وعــودا بزيــادة مســاعدات واشــنطن غيــر القتاليــة لمقاتلــي «المعارضــة الســورية المعتدلــة»، وتقديــم مســاعدة إضافيــة بقيمــة ٢٧ مليــون دولار، ممــا يرفــع القيمــة الإجماليــة للمســاعدة إلــى ٢٨٧ مليــون دولار. وقــد قــال المتحــدث الإقليمــي باســم الخارجيــة الأميركيــة «جوشــوا بيكــر» إن واشــنطن لا ترغــب فــي تســليح المعارضــة الســورية إلــى الآن، علــى الرغــم مــن أن الهــدف الرئيــس مــن زيــارة وفــد الائتــلاف إلــى الولايــات المتحــدة الــذي أعلنــه مكتــب رئيســه كان مطالبــة الإدارة الأميركيــة بتزويــد الفصائــل العســكرية التــي تقاتــل تحــت مظلــة الائتــلاف بأســلحة نوعيــة لمواجهــة طائــرات ودبابــات النظــام الســوري التــي تقتــل عشــرات الأشــخاص يوميــا.

فــي حيــن عــد رئيــس الائتــلاف الســوري «أحمــد الجربــا» القــرار الأمريكــي «مرحلــة مهمــة علــى طريــق ســورية الجديــدة علــى صعيــد الاعتــراف بهــا علــى الســاحة الدوليــة، وعلــى مســتوى علاقــات الســوريين مــع الولايــات المتحــدة»، لافتــا إلــى أن الإجــراء الأميركــي يشــكل «ضربــة دبلوماســية» لشــرعية الرئيــس بشــار الأســد.

وفــي الوقــت الــذي وصفــت فيــه المعارضــة الســورية زيــارة وفــد الائتــلاف إلــى أمريــكا بالزيــارة التاريخيــة، معتبــرة الخطــوة مهمــة وتزيــد مــن عزلــة نظــام الأســد دوليــا، ودالــة علــى الرغبــة فــي تعزيــز وإعــادة تنشــيط التعــاون الإســتراتيجي بيــن أميــركا وســورية الجديــدة، وأنهــا حجــر الأســاس لشــراكة طويلــة المــدى بيــن البلديــن كمــا قــال المستشــار السياســي والإعلامــي لبعثــة الائتــلاف الســوري «أبــي شــهبندر»؛ فــي هــذا الوقــت اســتبعد بشــار الأســد إمكانيــة حــل الأزمــة الســورية بتدخــل أطــراف خارجيــة، مؤكــدا أن «الحــل هــو ثمــرة لجهــود الســوريين وحدهــم لأنهــم الأقــدر علــى إيجــاد الحلــول لمشــكلاتهم».

فــي هــذه الأثنــاء لفــت المبعــوث الأمريكــي الســابق إلــى ســورية «فريدريــك هــوف» الأنظــار حيــن قــال إن إدارة أوبامــا أدركــت أنــه ســيكون مــن الضــروري سياســيا للجربــا أن ينهــي زيارتــه بإنجــاز.

كمــا قلــل ضمنيــا مــن أهميــة القــرار حيــن قــال إن الــرد المناســب علــى قــرار الأســد إجــراء «انتخابــات وهميــة» يفتــرض أن يكــون ســحب اعتــراف واشــنطن بالحكومــة «التــي تديرهــا زمــرة الأســد ومخلــوف»، مســتدركا أن «الاعتــراف بحكومــة الأســد مايــزال قائمــا علــى الرغــم مــن اعتبــار ممثــل الائتــلاف الســوري بعثــة دبلوماســية». ربمــا تجاهــل وفــد الائتــلاف حديــث هــوف الأخيــر وتصريــح المتحــدث الإقليمــي باســم الخارجيــة الأمريكيــة، إلا أنــه مــن الجســيم أن تتجاهــل المعارضــة سلســلة التصريحــات الأمريكيــة المتعاقبــة منــذ ثــلاث ســنوات، والتــي تمثــل السياســة الأمريكيــة فــي الشــأن الســوري بعيــدا عــن الدبلوماســية الهادئــة والتصريحــات المجاملــة، ولاســيما بعــد التكــرار الممــل مــن قبــل إدارة أوبامــا رفــض الحســم العســكري والإعــلان المتكــرر أن الحــل فــي ســورية لا يكــون إلا سياســيا.

حيــث قامــت السياســة الأمريكيــة حــول ســورية أولا بجــس نبــض الأطــراف خــلال شــهور الثــورة الأولــى وتأجيــل أي حديــث عــن تدخــل دبلوماســي أو غيــر دبلوماســي مشــابه لمــا حــدث فــي «مصــر» و»تونــس»، ثــم مراقبــة قــدرة الثــورة ومفاعيلهــا علــى تفكيــك جســم النظــام، وأخيــرا الحفــاظ علــى المكتســبات التــي حققتهــا الحــرب الدائــرة بيــن الشــعب والنظــام مــن خــلال اســتنزاف القــوى التــي تدخلــت فــي الأزمــة الســورية.

وبــرأي محلليــن فــإن مــا حققتــه الولايــات المتحــدة خــلال ســني الثــورة الثــلاث مــن اســتنزاف أطــراف الصــراع وحلفــاء النظــام بالخصــوص، لــم يكــن بإمكانهــا أن تحققــه مــن خــلال تدخــل مباشــر كمــا كان ذلــك متوقعــا نهايــة العــام الماضــي.

ربمــا لــم تســتوعب المعارضــة الســورية أن زيــارة وفــد الائتــلاف إلــى أمريــكا، وأن هــذا الاحتفــاء الــذي بالغــت وســائل الإعــلام التابعــة لــه بتصديــره، وأن كل هــذا التضخيــم فــي عبــارات التســويق للشــراكة الســورية الأمريكيــة والعلاقــات الإســتراتيجية بيــن البلديــن؛ لــم يكــن إلا تتويجــا للائتــلاف وملحقاتــه العســكرية فــي معركتــه ضــد «الإرهــاب» عــدو «المجتمــع الدولــي» برمتــه، لا نصــرة لثــورة الشــعب الســوري ولا صفعــة دبلوماســية علــى وجــه نظــام الأســد المقبــل علــى انتخابــات رئاســية يدغــدغ بهــا عواطــف المجتمــع الدولــي؛ ليعــود مــن جديــد إلــى حظيــرة الطاعــة الدوليــة.

ومــما يؤكــد هــذا التوجــه تلــك الأســئلة التــي جوبــه بهــا الجربــا خــلال لقائــه بعــدد مــن أعضــاء مجلــس الشــيوخ مــن الحزبيــن الجمهــوري والديموقراطــي؛ حيــث طالبــوه بتأكيــدات وضمانــات بــأن أيــة مســاعدات أمريكيــة لــن تقــع فــي أيــدي «متطرفيــن»، كمــا ألحــوا بســؤاله عــن خطــة الائتــلاف وملحقاتــه العســكرية حــول التعامــل مــع «عناصــر الإرهــاب»، ولاســيما «جبهــة النصــرة»، مــن دون أن يذكــروا «تنظيــم الدولــة».

لا يشــغل بــال الأمريكييــن -بحســب الصحافــة الأمريكيــة- إلا «الإرهــاب» الــذي تخشــى الولايــات المتحــدة والمجتمــع الدولــي مــن تصديــره للخــارج بمــا يــؤذي المصالــح الغربيــة، وبمــا أن أكثــر الأســئلة إلحاحــا فــي أروقــة الساســة الأمريكييــن حــول نجاعــة سياســة «أوبامــا» فــي «حربــه الباردة» علــى حلفــاء نظــام الأســد مــن خــلال اســتنزافهم فــي ســورية، ومــدى قدرتهــا علــى حفــظ مصالحهــا مــن التأثــر بمفاعيــل الثــورة الســورية، وأهمهــا «الإرهــاب»؛ فــإن الإجابــة تأتــي مــن خــلال زيــارة وفــد الائتــلاف عبــر إيــكال هــذه المهمــة الضروريــة لــه ولضمــان اســتمرار حربــه علــى «المتطرفيــن» بعــد التأكــد مــن صلاحيتــه لذلــك.

ليــس فــي جعبــة الأمريكييــن مــا يمكــن أن يصــب فــي صالــح مســار الشــعب الســوري وثورتــه؛ فــكل مــا يهتــم بــه المتعاطفــون دبلوماســيا مــع الثــورة الســورية مــن داخــل إدارة أوبامــا -ومــع اقتــراب نهايــة حقبــة أوبامــا- الحفــاظ علــى ســمعتهم بعــد مغادرتهــم المناصــب، وأمــا المنتقــدون لسياســته مــن خــارج إدراتــه فــإن أهــم مــا يســعون إليــه ترتيــب الإرث الــذي سينافســون عليــه فــي الانتخابــات المقبلــة.

الثوار ينســفون حاجز القيادة المشــتركة فــي وادي الضيف

العهد - خاص

تمكنــت كتائــب الثــوار مــن نســف مبنــى «القيــادة المشــتركة» فــي «تلــة الســوادي» الواقعــة بيــن حاجــزي «الزعلانــة» و»الســماد» فــي «وادي الضيــف» بريــف إدلــب، وذلــك بعــد تلغيــم نفــق تــم حفــره تحــت المعســكر بعشــرات الأطنــان مــن المتفجــرات، ممــا أســفر عــن مقتــل عناصــر مــن قــوات الأســد بينهــم ضبــاط وتدميــر عــدد مــن العربــات والآليــات العســكرية.

واندلعــت اشــتباكات علــى حواجــز وادي الضيــف جميعهــا عقــب التفجيــر، حيــث ســقط عــدد مــن القتلــى علــى حاجــز الزعلانــة، كمــا ســيطر الثــوار خــلال المعــارك علــى أجــزاء مــن حاجــز الســماد ودمــروا عربــة عســكرية، كمــا تمكنــوا مــن تدميــر دبابــة علــى حاجــز الضبعــان جنوبــي وادي الضيــف.

وكانــت كتائــب الثــوار قامــت فــي وقــت ســابق بتدميــر «حاجــز الصحابــة» فــي معســكر وادي الضيــف، ممــا أدى إلــى مقتــل حوالــي ٤٠ عنصــرا مــن قــوات الأســد بينهــم ضابــط، فــي حيــن أصيــب ٣ مــن الثــوار.

وأوضــح مصــدر قيــادي فــي «لــواء درع التوحيــد» أن عمليــة نســف الحاجــز المؤلــف مــن ٣ أبنيــة تمــت مــن خــلال نفــق أرضــي حفــر تحتــه بطــول ٢٩٠ مترا وبمشــاركة ٦٠ عنصرا مــن الثوار.

وأشــار المصــدر إلــى أن عمليــة الحفــر اســتمرت قرابــة ٥٠ يومــا، وأن كميــة المــواد المتفجــرة التــي اســتعملت فــي التفجيــر بلغــت ٤٠ طنــا، مضيفــا أن العمليــة رافقهــا هجــوم للثــوار علــى الحاجز، وأن الاشــتباكات بيــن الطرفين ماتــزال مســتمرة علــى حاجــز معمل الســماد القريــب مــن حاجــز الصحابة.

يذكــر أن معســكر وادي الضيــف يقــع فــي الجهــة الشــرقية مــن معــرة النعمــان علــى مســاحات واســعة مــن الأراضــي، إذ يمتد مــن قريــة الزعلانــة فــي الشــمال الشــرقي للمعــرة وإلــى حــدود قريــة «صهيــان» فــي الجنــوب بالقــرب مــن مدينــة «خــان شــيخون»، وعلــى بعــد كيلــو متــر واحــد فقــط مــن الطريــق الدولــي أوتوســتراد حلــب ـ دمشــق.

نسف حاجز الصحابة بوادي الضيف

برنامج الغذاء العالمي: ٦,٥ مليــون ســوري بالداخل يحتاجــون إلى مساعــدات مــن أجــل البقــاء

قالــت المتحدثــة باســم برنامــج الغــذاء العالمــي «إليزابيــث بيــرس» إن أكثــر مــن ٦,٥ مليــون ســوري فــي داخــل ســورية يعانــون مــن انعــدام حــاد للأمــن الغذائــي ويحتاجــون إلــى مســاعدات غذائيــة مــن أجــل البقــاء، وأضافــت بيــرس - فــي المؤتمــر الصحفــي الأســبوعي للمنظمــة الدوليــة فــي «جنيــف»، أن مســاعدات البرنامــج قــد وصلــت خــلال شــهر نيســان الماضــي إلــى مــا يقــارب ٣,٩ مليــون شــخص داخــل ســورية، مقارنــة برقــم قياســي كان البرنامــج قــد حققــه فــي شــهر آذار بوصــول مســاعداته إلــى حوالــى ٤ ملاييــن ســوري، وفــي الوقــت الــذي أعربــت فيــه عــن قلــق البرنامــج مــن صعوبــة الوصــول بالمســاعدات إلــى كثيــر مــن الســكان فــي ســورية بســبب قطــع الطــرق، والقتــال المســتمر، وعلــى الرغــم مــن حاجتهــم الماســة إلــى الغــذاء، أشــارت إلــى أن بعــض المناطــق فــي ســورية والتــي تضــررت بالفعــل مــن النــزاع الدائــر، ولاســيما «حلــب» و»إدلــب» و»حمــاة» فــي شــمال غربــي ســورية، تواجــه أيضــا موجــة مــن الجفــاف التــي تلــوح فــي الأفــق، وذلــك مــع هطــول الأمطــار بمعــدل أقــل مــن المتوســط علــى المــدى الطويــل، وبمــا ســيكون لــه تأثيــر خطيــر علــى محصــول الحبــوب القــادم والأمــن الغذائــي للســكان فــي تلــك المنطقــة، وأضافــت أن برنامــج الغــذاء العالمــي بحاجــة أيضــا إلــى أن يرفــع ميزانيتــه إلــى حوالــى ٩٤٩ مليــون دولار فــي نهايــة العــام، للوفــاء بإطعــام حوالــي ٤,٢٥ مليــون ســوري داخــل ســورية وأكثــر مــن ٢,٩ مليــون فــي البلــدان المجــاورة.

ألمانيــا تخصــص ٧ ملاييــن يورو لدعــم الســوريين المهجــرين داخليــا وخارجيــا

وافقــت الحكومــة الألمانيــة علــى تخصيــص مبلــغ مالــي قــدره ســبعة ملاييــن يــورو لدعــم الســوريين المهجريــن داخليــا واللاجئيــن الســوريين فــي كل مــن «مصــر» و»العــراق» و»لبنــان» و»الأردن» و»تركيــا»، ويســلم المبلــغ المالــي لمفوضيــة الأمــم المتحــدة لشــؤون اللاجئيــن ثلاثــة ملاييــن يــورو فــي النصــف الأول مــن هــذا العــام وأربعــة ملاييــن يــورو فــي النصــف الثانــي مــن هــذا العــام، وذكــر بيــان وزعــه المركــز الألمانــي للإعــلام بالقاهــرة اليــوم أن هــذا التبــرع يأتــي فــي إطــار المشــروع المقتــرح مــن قبــل مفوضيــة الأمــم المتحــدة لشــؤون اللاجئيــن بهــدف تلبيــة الاحتياجــات والخدمــات الأساســية لهــؤلاء الســوريين، مشــيرا إلــى أن الحــرب الأهليــة الدائــرة فــي ســورية أدت إلــى تهجيــر عــدد كبيــر مــن الســوريين داخليــا وكذلــك اندفــاع موجــة هائلــة مــن اللاجئيــن إلــى بلــدان أخــرى، ممــا شــكل عبئــا كبيــرا علــى هــذه البلــدان، بحســب مــا نقلــت «وكالــة أنبــاء الشــرق الأوســط.»

المجلــس الطبي في حلب يحــذر مــن انهيار المنظومــة الطبيــة بســبب العجز المــالي

حــذر «المجلــس الطبــي لمدينــة حلــب» مــن انهيــار المنظومــة الطبيــة نتيجــة العجــز المالــي وتــرك الكــوادر مــن دون دفــع اســتحقاقاتهم، وقــال بيــان صــادر عــن المجلــس أن العجــز المالــي للجهــات الطبيــة فــي حلــب أدى إلــى فقــدان جــزء كبيــر مــن الكــوادر الطبيــة مــن أطبــاء وأخصائييــن، ووضــع المجلــس الجهــات الإغاثيــة والإنســانية كافــة أمــام مســؤوليتها الأخلاقيــة لتــدارك الأزمــة وإعــادة ترميــم المنظومــة الصحيــة فــي حلــب، ونــدد ناشــطون بالكميــات الكبيــرة للأمــوال التــي تتحــدث الحكومــة عــن صرفهــا يوميــا، فــي الوقــت الــذي يعانــي فيــه أهــم مجلــس فــي حلــب مــن الإفــلاس.

العمـــال السـوريون في تركيـــا:
رحلة من البحـث، ومعـاناة مستـمرة

إحدى البسطات السورية المنتشرة في مدينة «كلس»

العهد ـ محمد غريبو

تشـعر للوهلـة الأولـى وأنـت تسـير فـي مدينـة «غـازي عنتـاب» التركيـة بأنـك فـي إحـدى المـدن السـورية، لـولا واجهـات المحـال التجاريـة التركيـة والتـي بـدأت هـي الأخـرى تمتـزج بالكتابـات العربيـة؛ فقـد شـكلت مـدن الجنـوب التركـي ملجأ كبيـرا للسـوريين الفاريـن مـن جحيـم المـوت، إلا أن المعاناة لـم تنتـه بوصـول هـؤلاء إلـى «تركيـا» سـالمين، فالمحظـوظ منهـم مـن يتمكـن مـن إيجـاد فرصـة عمـل يسـتطيع خلالهـا تأميـن لقمـة العيـش، فالمثـل الشـعبي السـوري «لا أحـد يمـوت مـن الجـوع» تغيـر فـي نظـر السـوريين فـي تركيـا إلـى «مـن لا يعمـل لا يعيـش».

رخص الأيدي العاملة السورية

تتميـز اليـد العاملة السـورية بالمهارة العالية والكفـاءة، بالإضافة إلى رخصها فـي ظـل حيـاة اللجـوء، ويمـارس السـوريون هنـا أعمـالا ومهنـا كثيرة للتغلـب على مصاعـب الحيـاة، وغالبا لا يعملـون ضمـن مهنهـم الأصليـة، ويعانـون عمومـا مصاعـب جمـة في تأميـن فرصـة العمـل، بالإضافة إلى قلـة الأجرة أو عـدم دفعهـا في بعض الأحيان.

«أحمـد جـراح» سـوري يقيـم فـي تركيا منذ ٥ أشـهر، تحدث لـ «العهد» عـن بعض مـن هـذه المعانـاة قائلا: «أحصـل علـى ٢٠٠ ليـرة تركيـة أسـبوعيا من العمـل فـي هـذا الدكان الـذي فتحه عمي، حاولـت أن أعمل في مهنتـي الأصلية وهي الحـدادة إلا أنني لـم أتمكن مـن ذلـك بسـبب رخص الأجـر نتيجة ازدحـام السـوريين، فقد دفعـوا لـي ١٥٠ ليـرة، ماذا سـتفعل هذه الأجـرة أمـام إيجار المنـزل الذي يرتفـع يوما بعد آخر بسـبب اسـتغلال المواطـن التركـي لتدفـق اللاجئين».

وتعـد معاملـة الأتراك للسـوريين في العمـل معاملـة طيبـة، إلا أن أجـرة العامل السـوري أقل من أجـرة العامل التركـي، لذلـك يقبـل عليهـا أربـاب العمـل الأتراك.

وقـد أدت كثـرة العمالـة السـورية فـي السـوق التركيـة إلـى اسـتياء بعـض المواطنيـن الأتـراك، إذ يقول «مصطفـى» وهو مواطـن تركي يعمل في أحـد المطاعـم بمسـجد إبراهيم عليه السـلام في مدينـة «أورفا»: «إن العمال السـوريين أضـروا باليد العاملة التركيـة، فالسـوريون يقبلـون بأجـر قليـل وهـم بذلـك يؤثـرون علينا».

وحـول السـبب فـي ذلـك التقـت «العهـد» بـ «محمـد النبهـان» ـ طالـب جامعـي مـن حلـب يجيـد ٤ لغـات هـي العربيـة والتركيـة والإنكليزيـة والألمانيـة ويعمـل حاليـا فـي مطعـم للوجبـات السـريعة. والـذي تحـدث عـن ذلـك بقولـه: «أنـا مظلـوم مقابـل العامـل التركـي فـي الأجـر، والحجـة هـي الأقدميـة والمهنيـة، فأنـا كنـت قبـل اللجـوء طالبـا فـي كليـة الحقـوق لا أعـرف كيـف أمسـك بالسـكين، اضطـررت للعمـل فـي المطعـم ولكننـي اسـتطعت أن أثبـت وجـودي وأتعلـم اللغـة والمهنـة».

وبالإضافـة إلى تلـك الأسـباب يحمل النبهـان المسـؤولية فـي رخـص اليد العاملـة السـورية إلـى السـوريين أنفسـهم فـ «هناك فكـرة خاطئة لدى السـورين بالعموم، وهي أنه ينبغي أن أعمـل فـوق طاقتي ليكـون رب العمل راضيـا عنـي ولأسـتمر فـي العمـل، علما أنه لـو عمل بنصـف الطاقة التي يعمـل بها سـيكون أفضل مـن العامل التركي، وهذه النقطـة واضحة ويعترف بهـا الأتراك».

ولا يقتصـر السـعي في تأميـن لقمة العيـش على الرجال، بل على النسـاء والأطفـال فـي البيوت أيضـا، من مثل تكسـير الجوز والفسـتق والخياطة، فـ «أم عبـد الله» وهي لاجئـة من «إدلب» تعمل في تكسـير الجوز، وتسـكن في منطقـة شـعبية بغازي عنتاب، تكسـر في اليـوم الواحد مـع أطفالها ٣ أكياس مـن الجوز، مقابل ٥ ليـرات تركية على الكيـس الواحـد الـذي يـزن ١٥ كيلو غراما، تسـتفيد أم عبد الله من قشـور الجـوز وتسـتعمله للتدفئـة في فصل الشـتاء وصناعة خبز الصـاج كذلك.

تعدد المحال التجارية

كما شـهدت المدة الأخيـرة افتتاح عدد مـن المحال التجارية السـورية في تلك المـدن، وتقتصـر المحـلات معظمهـا في غازي عنتـاب على مطاعـم الفول والاتصـالات، بالإضافـة إلـى البقاليات المتواضعـة التـي تحـوي منتجـات سـورية.

وفـي الطريـق بيـن مشـفى «أرسـين» أو «مشـفى الدولـة» وكـراج كلـس افتتح السـوريون مـا يزيـد علـى ٢٥ دكانا أغلبها مطاعـم للفـول ومحـلات للاتصالات والهواتـف الخليوية، وتتقاطع أسـماء هذه المحـلات معظمهـا بكلمتيـن اثنتيـن هما «حلـب والسـوري»، ومـن الطرائـف التي واجهتنـا فـي هـذه المدينة مطعم سـوري للفـول كتـب علـى بـاب دكانـه «لدينـا أدويـة طبيـة سـورية».

ولا يحتـاج افتتـاح دكان فـي الجنـوب التركـي إلى إجراءات معقـدة كما يقول «أبـو عيسـى» -لاجئ سـوري من حلب- ؛ فالكشـك الذي افتتحـه مطعما للفول قـام باسـتئجاره مـن مواطـن تركي ومـن دون أي عقد. وحـول الدخل الذي يقدمـه المطعـم قـال أبو عيسـى إن الدخـل ليس كثيرا ولكـن «ليس أمامي وسـيلة أخرى».

وإذا كانـت غالبيـة المحـلات التجارية فـي مدينة غـازي عنتـاب تنحصر في المطاعـم والاتصـالات والبقاليات، فقد افتتـح السـوريون في مدينـة «أورفا» محـلات تجاريـة مختلفـة، كمـا هـو حال «حسـان الدالاتـي» ـ صاحب محل للعطورات في سـوق شعبي ـ والذي عبر لنـا عن ارتياحه في هـذا العمل، فاللغة في هـذه المهنـة «ليسـت بالمعضلة مـادام الشـم هـو لغـة التفاهـم».

وتنتشـر إلى جانـب المحـلات التجارية «البسـطات» أو الباعـة الجوالـون الذيـن يجوبـون الطرقـات أو يقفـون فـي زواياهـا. وقـد التقينـا بأحدهم فـي مدينة كلـس وهو «أبو حسـين» الذي أشـار إلـى أن بضائعـه معظمها من سـورية كمـا أن الزبائن سـوريون بالدرجـة الأولى، أما الأتراك فيشـترون مـن بـاب الفضـول، وقد تعـودوا في هـذه المدينـة علـى بعـض الأطعمة السـورية كالخبـز السـوري والحمص والفلافل.

وعلى الرغم من الاسـتياء الـذي يبديه بعـض النـاس، إلا أن لجوء السـوريين إلـى تركيـا كانـت لـه انعكاسـات اقتصادية جيـدة على المـدن الجنوبية علـى الصعـد المختلفـة، وعـن هذه الانعكاسـات يقول «أبو محمود» -لاجئ سـوري في مدينة الريحانيـة التركية- إن بعضهـم وإن كان يظهر امتعاضا من وجود السـوريين بوصفهم منافسـين للعمالة التركية إلا أنهـم يدركون تماما مدى الحركـة الاقتصادية التي سـببها لجوء السـوريين إلى هـذا البلد، وعلى وجـه الخصوص فـي مجـال العقارات، فالبيت الـذي كانـت أجرته الشـهرية ٢٠٠ ليـرة تركيـة ارتفـع ليبلغ ٥٠٠ ليـرة، والفرن الـذي كان يقـدم الخبز إلـى ١٠ أشـخاص مثـلا يقـدم الخبز الآن إلى ١٠٠، فضـلا على المواصلات، والبضائـع التركيـة التـي تتوجـه إلى الشـمال السـوري عبر المعابر.

وتتجـه الحكومـة التركية إلـى إصدار قوانين جديـدة تتعلق بتنظيم شـؤون اللاجئيـن السـوريين، وبصـورة خاصة الشـؤون المتعلقـة بالعمالـة والإقامة لمن لا يمتلكـون جوازات سـفر أو لمن انتهـت صلاحيـة جوازاتهم.

وتحدثـت بعـض المصادر بـأن هناك قوانين لتنظيـم العمالة السـورية في تركيا ماتـزال إجراءاتهـا التنفيذية قيد المداولة، مشـيرة إلى أن القانون سيقر منـح أذونات عمـل للسـوريين تضمن لهـم حقوقهم.

وأخيـرا وعلـى الرغـم مـن كل هذه المعانـاة التـي يعانيهـا السـوريون فـي تركيـا، يعـرب كثير مـن العمال السـوريين ممـن التقينـا بهـم فـي هـذا البلد عـن امتنانهـم للوضع الذي يعيشـونه في تركيا مقارنـة بـ «جحيم دول الجـوار السـوري العربيـة».

"الضباط المنشقون" بين الإقصاء واتهام بالفساد

العهد – خاص

يعانـي كثير مـن الضباط المنشـقين من الإقصـاء من قبل الثـوار المدنيين، كمـا يعانـون في بعـض الأحيـان من سـوء المعاملة من قبل فصائـل الثوار، فإن لـم يكـن الضابط المنشـق فعالا وقياديـا بـارزا فـإن الإقصـاء مصيره، ولكن فـي الحقيقـة كان العسـكريون أكثـر الفصائـل تعرضـا للإقصـاء في الثورة السـورية.

العقيـد «أبـو محمـد» - قائـد فـي الفرقـة السـابقة سـابقا وقائـد عسـكري فـي الجبهـة الإسـلامية اليـوم - يقـول: «إننـي انشـققت عـن نظـام الأسـد منـذ أكثـر مـن عـام، وللأسـف بعـد انشـقاقي تعرضـت لطعنـة مـن أقـرب النـاس وهـو العقيـد عبـد الجبـار عكيـدي حيـث قـال لـي لقـد تأخـرت بالانشـقاق يـا سـيادة العقيـد، ولـم يعـرض علـي أي عمـل بالثـورة، علمـا أنـه كان قائـد للمجلـس العسـكري بمحافظـة حلـب وريفهـا، وبعدهـا عرضـت خدماتـي علـى لـواء عاصفـة الشـمال فقالـوا لـي تسـتطيع قيـادة دبابـة؟ علمـا أننـي مـدرب دبابـات ومـع ذلـك قبلـت ولكـن لـم يكـن مرحبـا بـي بينهـم، وبعـد ذلـك عرضـت خدماتـي علـى كثيـر مـن الفصائـل وبيـن مـد وجـزر عملـت مـع لـواء التوحيـد، والآن أنـا أعمـل فـي الجبهـة الإسـلامية، ولكـن لليـوم أعانـي مـن الوحـدة وقلـت الاحتـرام مـن قبـل القـادة العسـكريين، وأجـد المناطقيـة والمحسـوبية هـي السـائدة فـي الفصائـل جميعهـا التـي أعمـل معهـا».

ويـرى بعضهـم أن الضبـاط يريـدون مناصـب مـن دون أن يكون لهـم دور فاعل علـى الأرض؛ الإعلامـي «محمد ياسـين» يقـول: «إنني أعـرف ضباط كثيريـن كانـوا فـي الصفـوف الأولى مـن المعـارك واليـوم نراهـم قـادة بارزيـن، وأنـا من خلال عملـي بجيش المجاهديـن لـم أرى ضابطـا واحـدا تعـرض للإقصـاء، إلا إذا كان غير جدير بـأن يكـون قائـدا فاعـلا أو مشـاركا للثـوار فـي معاركهم».

لكـن حقيقـة الأمر غيـر ذلـك. الرائد «أحمد» يقـول: «لقد عملنـا منذ بداية الثورة فـي الصفـوف الأولـى لجبهات القتال، ولكن للأسـف لا نجـد الاحترام من قبـل الثوار، ودائمـا نحن معرضون للتخويـن لأننا كنا في صفـوف الجيش، وأنا لسـت نادمـا كوني انشـققت عن نظـام المجرم بشـار الأسـد، بـل أنا حزين على الثـوار لأنهم تركـوا ثروات بشـرية كبيرة من العسـكريين مهملة ولم يسـتفيدوا منها».

ونجد هذا الإقصاء يتعـرض له الضباط وحدهـم، فالجنـود وصـف الضبـاط يقولون إنهم لم يلاحظـوا هذا القصاء.

«أحمد الديري» -رقيـب متطوع- يقول: «إنني أشـغل منصب قائد كتيبة وخلال عملي مع الثـوار لم ألحـظ أي تمييز أو إقصاء، ولكـن ربما الكتيبـة التي أعمل معها هي مـن أفضل الكتائـب العاملة علـى الأرض، وتتميـز بـروح عالية من الأخـلاق والاحترام لأننـي لاحظت نهرا لبعض الضبـاط في صفـوف الثوار».

أيضاً فسـاد بعض الضبـاط المنتمين للثوار أثر سـلبا على العلاقة بين الثائر المدنـي والضابط. «أبو النـور» -قائد عسـكري فـي لـواء أمجاد الإسـلام- يقـول: «إن فسـاد بعـض الضبـاط وأبرزهـم عمـار الـواوي والرائد ماهر النعيمـي كان له دور كبيـر في التخوف مـن العسـكريين وعـدم الاطمئنـان لهم، لذلك ربما هذا الفسـاد وسـرقة الأموال مـن قبل بعـض الضباط كان السـبب فـي إقصـاء بعضهـم وعدم محبتهـم من قبـل الثوار».

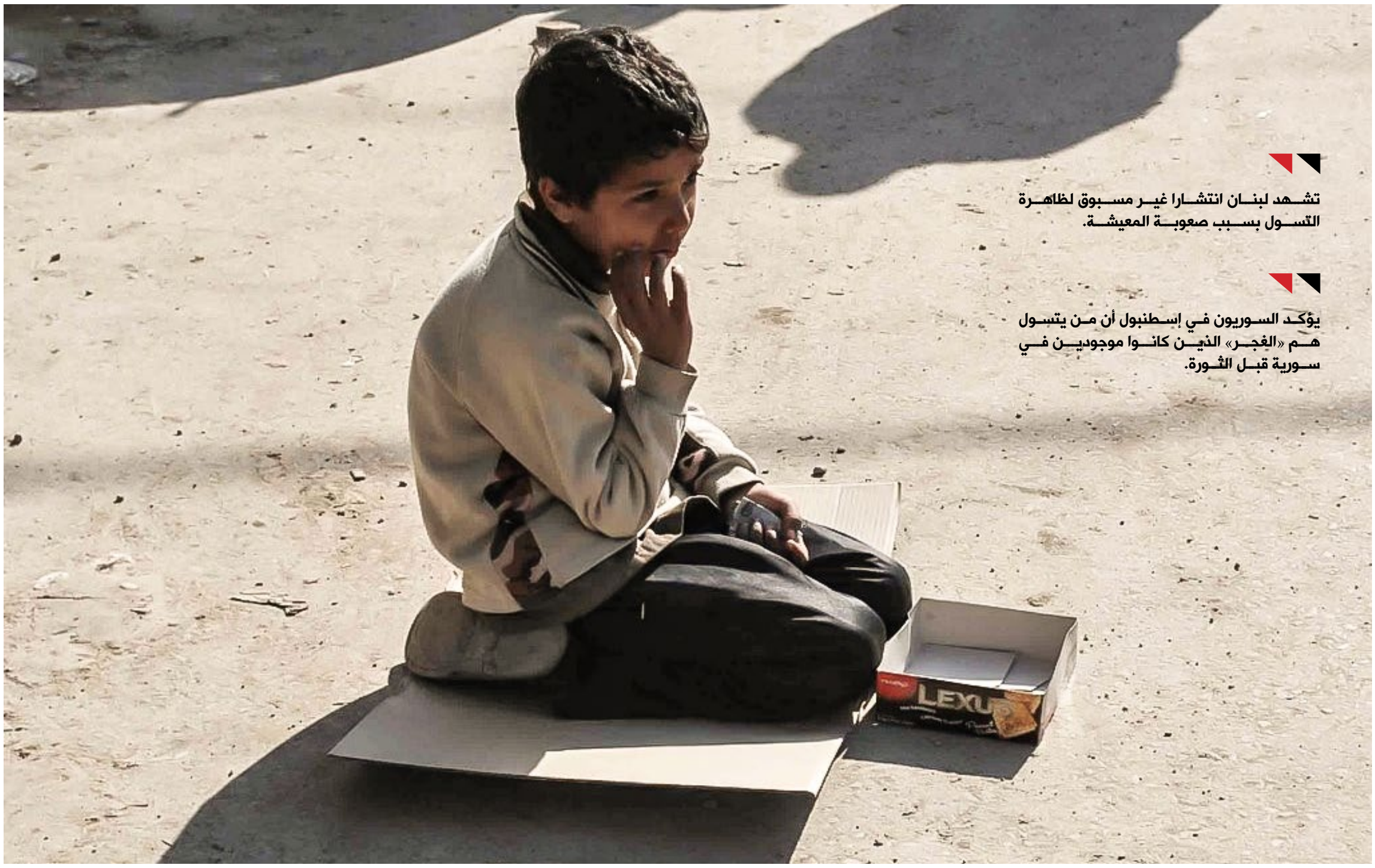

تشــهد لبنــان انتشــارا غيــر مســبوق لظاهــرة التســول بســبب صعوبــة المعيشــة.

يؤكـد السـوريون فـي إسـطنبول أن مـن يتسـول هــم «الغجــر» الذيــن كانــوا موجوديــن فــي ســورية قبــل الثــورة.

التســول مهنة للبعض في الداخل وتشــويه لسمعة الســوريين في الخارج

العهد – أحمد خليل

لا يختلــف اثنــان أن ظاهرة التســول موجــودة في المجتمعــات العربيــة والأوربية معظمهــا ولكن بنســب متفاوتــة وأســاليب مختلفة، إلا أن انتشــار هــذه الظاهرة الســلبية في ســورية وتفشــيها في المجتمع أصبــح ملحوظا بصــورة كبيرة، حيث لا يكاد يخلو شــارع أو ســوق من وجود متســول يســتجدي كل شــخص يمر بجانبه لإعطائــه بعض المــال بحجة الفقــر وعدم وجود ما يســد رمــق العيش.

التسول مهنة للبعض

ويؤكــد «ســامر» -مــدرس- أن ظاهرة التســول كانــت موجودة في ســورية قبل انطلاق الثورة الســورية، ولكن الحرب التي يشــنها نظام الأســد على الشــعب الذي طالــب بحريته زادت من انتشــار هــذه الظاهرة أضعافــا مضاعفة، مشــيرا إلى أن المتســولين فــي الماضي كانوا ينتشــرون في مناطــق محددة، من مثل الأســواق المشــهورة أو الســاحات المكتظــة بالناس، كمــا أن المتســولين معظمهــم كانوا معروفيــن لــدى المارة لنــدرة ما تتبــدل وجوههم وأماكــن وجودهــم، ولكن حاليا وجــوه المتســولين تتبدل باســتمرار، وانتشــارهم لم يعــد يقتصر علــى مناطق معينــة فهــم موجودون فــي كل مكان تقريبــا وبأعــداد كبيرة، بغــض النظر عن صدقهــم أو كذبهم.

ولفت ســامر إلى أن المتســول «الشــحاذ» كان في الماضي يكتفي بافتراش الأرض ومد يــده للمارة مع إطــلاق بعض العبارات الشــبيهة بالدعاء للحصــول على عطف النــاس وكرمهــم، أما حاليــا فكثيرا مــا يلجأ المتســول إلى أســاليب مختلفة بحجة أنــه يقدم خدمة للشــخص الــذي يريد أن يتســول منــه، كأن يقوم بمســح زجاج الســيارة في أثنــاء توقفها على إشــارات المــرور، أو يعرض على المارة أن يشــتروا منه بعض الســلع البســيطة أو المأكولات وهو يخاطبهم بعبــارات الترجي والإلحاح، وقــد تتحول هــذا العبارات في بعــض الأحيان إلى شــتائم في حال رفضهم شــراء ما يعرضــه عليهم.

الوضع في سورية فرصة لامتهان التسول

لقد أجبرت ظروف الحياة القاســية الســوريين الذيــن قرروا البقاء فــي الداخل على البحــث عن أية وســيلة تســاعدهم على تأميــن قوتهــم اليومي؛ فأخــذ بعضهم يعمــل ســاعات طويلــة مقابل مبلــغ زهيد، وهنــاك من اضطــر إلــى العمل في ظــروف صعبة ولاتحتمل لمســاعدة أســرته، في المقابــل هناك من اختــار النزول إلى الشــوارع وســؤال الناس.

ويقــول «أبو فــادي» -صاحب محل لبيــع الملابــس- إن بعضهم وجد مــن الوضع الــذي تمر به ســورية فرصة لامتهان التســول، لأنهــا تدر على من يمارســها المال مــن دون عناء أو جهــد يذكر، وهي باب ســهل للرزق فلا تحتــاج إلا لبعض العبارات التــي تلامس القلب وتحرك المشــاعر.

وأشــار أبو فــادي إلى أن مــن يعطي هؤلاء المتســولين المال يســهم في انتشــار هــذه الظاهــرة، لأن هذا العمل يشــجع مزيــدا من ضعــاف النفوس علــى مزاولة التســول، مؤكدا أن بعض المتســولين يقومون باســتئجار الأطفال والرضع من أجل جــذب الانتباه واســتدرار العواطف.

وأضــاف أبو فــادي أنه في كل يــوم يدخل إلى محله عشــرات المتســولين ومن كلا الجنســين، إضافة إلــى عدد كبير من الأطفــال، لافتا إلى أن أعداد المتســولين التي تدخــل محله تفوق أعــداد الزبائن، مطالبا بإيجــاد حل لهذه الظاهــرة لأنها بازدياد مســتمر ولا يوجد من يتصدى لها.

بــدوره رأى «ســعيد» -مهندس- أنــه لا يمكن أن نحكــم على كل من قــرر النزول إلى الشــارع لطلب المســاعدة من الناس بأنه كاذب ولا يســتحق العطف، ولاســيما أن الحرب التي تشــهدها ســورية أجبرت كثيــرا من العائلات على النــزوح من مدنها وقراهــا والتوجــه إلى مناطــق أخرى أكثــر أمنا، كمــا أن ملايين الأشــخاص فقدوا مصــدر رزقهم بســبب القصف والدمــار، وهناك كثيــر من العائلات وجدت نفســها فــي ليلة وضحاها بــلا معيل بعد مقتــل أو اختفاء رب الأســرة.

حكومة الأسد خارج التغطية

تحاول حكومة الأســد دائما التهرب من مســؤوليتها فيما يتعلق بموضوع التســول، فمثــلا مدير الخدمــات الاجتماعية فــي وزارة الشــؤون الاجتماعيــة «محمد فراس نبهــان» يؤكد في تصريح له أن مكافحة ظاهرة التســول ليســت مســؤولية الوزارة وحدهــا، وإنما مســؤولية جهــات عــدة، وأن دور الــوزارة يكمن في تدريــب وإعادة تأهيل هــؤلاء من خلال الــدور الخاصة.

وأشــار نبهان إلى أن مســؤولية قمع هذه الظاهــرة تقع على أكثر مــن وزارة، فإلى جانب «وزارة الشــؤون الاجتماعية» هنــاك «وزارات العدل والداخليــة والتربية» التي تعنــى بتطبيق إلزاميــة التعليم، حيث وافقت الــوزارة على إحــداث مكتب لمكافحة التســول والتشــرد، والذي أُلحق بمديرية الشــؤون الاجتماعية بدمشق.

وادعى مديــر الخدمــات أن وزير الشــؤون الاجتماعيــة أعطى صلاحية بالتنســيق مــع وزارة الإدارة المحلية بإحــداث مراكز رعايــة اجتماعية تتناســب والحالات التي يواجههــا المجتمع، مشــيرا إلــى أن التنســيق يتم مع الــوزارات المعنيــة «العدل، الداخليــة، التربيــة» للتخفيــف من حدة هــذه الظاهــرة، إضافة إلى وجود شــريك حقيقــي هو المجتمــع الأهلي.

ويقــول الناشــط والحقوقي «ســمير أبو الورد» أن حكومة الأســد تدعــي دائما أنها تحــاول إيــواء المتســولين والمتشــردين الذيــن يتــم توقيفهم من قبــل دوريات مكافحــة التســول، ولكن الحقيقــة أن هذه الدوريــات غالبا ما تكــون متفقة مع من يتســول على تقاســم النقود، وفي بعض الأحيــان يتم إلقاء القبض على المتســول حيث تصــادر الدورية الأمــوال التــي بحوزته ثم تتركــه على قارعــة الطريق من دون أن تأخــذه إلى مخفر الشــرطة.

ويضيــف أبو الــورد أن ما يتحدث عنــه بعض المســؤولين من قيام حكومة الأســد بإعــادة تأهيــل المتســول بعد إلقــاء القبض عليــه وتقديــم الخدمات النفســية والاجتماعيــة والتربويــة والصحيــة له عار عــن الصحة.

قصص من الواقع

تــروي «أم حامــد» قصتهــا مــع التســول فتقــول قتل زوجــي في القصــف التي تعرضــت له بلدة «الســيدة زينــب» واضطررت إلى النــزوح مــع أولادي الأربعة إلى مخيــم اليرموك، وبســبب الحصــار المفروض علــى المخيم من قبل قوات الأســد نزحت مــرة ثانية إلى دمشــق، ونظرا لعدم وجود مــن ألجأ إليه جلســت أنا وأولادي فــي حديقة بمنطقــة البرامكة وقررت أن أتســول لإطعــام أولادي.

وأضافــت أم حامد لــم أتوقع يوما أن أطلب مــن الناس المال لإطعــام أولادي، ولكن مــاذا أفعل؟ يبقى التســول مــلاذا أمنا، ولاســيما أن هنــاك من يتربص بالنســاء اللواتــي يمررن بظــروف صعبة بســبب الحرب.

أمــا «أبــو عامــر» -بائــع خضــار- فتحــدث قائــلا: تعرضــت لشــظية كانــت ســببا فــي قطــع ســاقي ولــم أجــد ســبيلا للحصــول علــى المــال الــذي يبقينــي علــى قيــد الحيــاة ســوى التســول، ولاســيما أننــي أعيــش وحيــدا وليــس لــدي أولاد يســاعدونني، منوهــا أنــه بعــد احتكاكــه ببعــض المتســولين تبيــن لــه أن ليــس كل مــن يتســول معدومــا، فهنــاك مــن يتمتــع بصحــة جيــدة ولكنــه امتهــن التســول لأنهــا أســهل طريــق للحصــول علــى المــال.

مــن جهته «أبو ســلمى» -متســول- لم يتجــاوز عمره ثلاثيــن عاما قــال إن بيتي تهدم بســبب «الإرهابييــن»، وأنا لا أعــرف القيام بــأي عمل لذلــك اضطررت إلى التســول، لكــن أحد الأشــخاص أكد أنه عــرض على أبو ســلمى العمل في ورشــة لصناعــة الحقائب لكنه رفــض وأصر على التســول، في حين أن بعضهــم أكدوا أن أبو ســلمى يمتهن التســول قبل انطــلاق الثورة.

التسول في دول اللجوء

تشــهد «لبنــان» انتشــارا غيــر مســبوق لظاهــرة التســول، بســبب ارتفــاع أعــداد اللاجئيــن الســوريين مــن جهــة وصعوبــة الحيــاة فــي بلــد يعانــي مــن أزمــة اقتصاديــة شــبه دائمــة.

ويؤكد بعــض المقيمين فــي لبنان أن رؤية المتســولين الســوريين في الشــوارع أصبــح أمــرا اعتياديا، منوهين إلــى أن الشــعب اللبناني منزعج من الانتشــار هذه الظاهــرة بصــورة كبيرة، حيث تشــير إحصــاءات قوى الأمــن الداخلي إلــى أنه تم توقيف آلاف الأشــخاص بتهمة التســول أو رأس مدبر للتســول العــادي أو المقنع.

أمــا فــي «مصر» فقــد لوحظ أن انتشــار معظم الذين يتســولون باســم ســورية يوجــدون علــى أبواب المســاجد، وبعضهــم يبرز هويات أو جوازات ســفر ســورية ليزيد مــن تعاطــف المصلين.

وفــي «الأردن» لا يختلــف الأمــر كثيرا عــن الدول الأخــرى؛ فالمتســولون يجولون علــى المحال والمســاجد والمطاعم وهم يــرددون عبارات تدل على أنهم ســوريون وبحاجــة إلى مســاعدة بعد هروبهــم من الموت في ســورية.

كذلــك الحــال فــي «العــراق»، حيــث يقــول «أبــو بلنــد» -كــردي ســوري- أن المتســولين تحــت مســمى «ســوريين محتاجيــن» فــي ازديــاد دائــم، لاســيما فــي كردســتان العــراق، مؤكــدا أن فتــح الحــدود بيــن ســورية والعــراق ســمح بدخــول أعــداد مــن العائــلات التــي تمتهــن التســول.

أما بالنســبة لـ «تركيا» ولاســيما إسطنبول فالمتسولون - بحســب بعض السوريين المقيمين هناك- أشــبه بمجموعة لها مرجعية واحدة، حيــث أن الجميع يحملون ورقة مكتــوب عليها عبارة واحــدة باللغة التركية «نحن ســوريون بحاجة إلى مســاعدة».

ويؤكــد الســوريون فــي إســطنبول أن من يتســول هــم «الغجــر» الذيــن كانوا موجوديــن في ســورية قبل الثورة، ونظرا للإقبال الســياحي على إســطنبول قرروا الاســتقرار فيها وتشــويه سمعة الســوريين الذين يرفضون التســول مهما تعرضوا من صعوبــات حياتية.

وأشــار بعض الناشــطين الســوريين علــى صفحات التواصــل الاجتماعــي إلى أن هنــاك عائلات تمتهن التســول كانت موجودة في ســورية لكنها غــادرت بعد الثورة إلــى دول أخرى، مــن مثل «الجزائــر» و«اليمن» وبعــض الدول الأوروبيــة من أجل التســول باسم «ســورية المنكوبة».

ولفت الناشــطون إلى أن بعض الســوريين المقيمين في الخــارج حاولوا التفاهم مع الأشــخاص الذين يتســولون باســم ســورية لحضهم على العمل أوالابتعاد عن ذكر اســم ســورية في أثناء طلبهم للمال ولكن مــن دون فائدة.

لا شــك أن ظاهــرة التســول منتشــرة فــي المجتمعــات كلهــا ولكــن طريقــة تعامــل كل مجتمــع مــن المجتمعــات مــع هــذه الظاهــرة تختلــف بحســب القوانيــن وآليــة عمــل المنظمــات الاجتماعيــة، ويبــدو أن حكومــة الأســد بعيــدة كل البعــد عــن إيجــاد حــل لهــذه الظاهــرة لأن نظــام الأســد هــو مــن أســهم فــي انتشــارها إلــى هــذا الحــد بعــد تدميــره للمــدن والقــرى معظمهــا، وقصــف الأحيــاء بأنــواع الأســلحة المختلفــة، ممــا أدى إلــى تهجيــر العائــلات وإصابــة الآلاف بعاهــات مســتديمة، ونتيجــة لغيــاب المؤسســات الاجتماعيــة وانتشــار البطالــة لــم يجــد بعضهــم ملجــأ للبقــاء علــى قيــد الحيــاة ســوى التســول والاســتجداء.

فليقل في حمص خيرا أو ليصمت

بقلم باسل حفار

مع بداية يوم جمعة ٢٠١٤/٠٥/٠٩ بزغ فجر يوم جديد مد نوره المعتاد تدريجيا على ١٣ حيا حمصيا غادرها أهلها وأبناؤها، لتبدو هذه الأحياء خالية مهجورة؛ فليس هناك مرابطون أو مدافع رشاشة أو نقاط رصد، فقط هدوء غريب وسكون كئيب لا يخرقه إلا صرخات فيسبوكية لمتعاطفين ومصدومين فجعوا فجأة بانسحاب المقاومين من «عاصمة الثورة»، وكأنهم طوال عامين ماضيين لم يسمعوا الأخبار ولم يعرفوا شيئا عن تطور الأمور، فخريطة الثورة السورية بالنسبة لهم هي تلك الخريطة نفسها التي رسموها في أذهانهم قبل عامين أو ثلاثة، ولم يكلفوا أنفسهم عناء إعادة رسمها وفق المعطيات الجديدة، ولما لم يستطيعوا إخفاء مفاجأتهم راحوا يصرخون في الفضاءات كلها التي يسعهم الوصول إليها ويبكون وينوحون من فوق المنابر كلها التي مازال بإمكانهم الحديث عليها.

لا ألوم هؤلاء أو غيرهم على صرخاتهم، ولا أقلل من شأن صدمتهم؛ فالحدث جلل والموقف صعب والوضع خطير، بحيث يمكنك أن تضيف ما تريد من التعبيرات والمصطلحات التي تعبر عن تعقيداته من دون أن تجانب الصواب، ولكنني أستغرب كثيرا ممن يرى في هدنة «حمص» والانسحاب الآمن لـ ١٢٠٠ من مقاوميها وعائلاتهم نهاية عهد الثورة، ولا أدري فعلا مدى الاطلاع أو الخبرة في الشأن السوري وفي الثورة السورية تحديدا الذي يستند إليه هؤلاء في تقرير أمر كهذا، ولكنني متأكد أن من يعرف فعلا كيف بدأت وتطورت الثورة في سورية لا بد وأنه يدرك جيدا كم هو خطير ومبكر الحكم على الثورة في سورية بالموت أو الشلل.

لقد ارتكب بعض من النخب السوريين ومن المثقفين والمتابعين والخبراء في الشأن السوري خطأ جسيما قبل سنوات عندما قرروا أن اندلاع ثورة في سورية أمر مستحيل، وأن الوضع في سورية غير قابل للتغير، وأن القبضة الأمنية للنظام لا يمكن أن يفكها أو ينجو منها أحد، ففاجأهم أبناء سورية وشبابها بحراك شعبي عريض واسع قوامه آلاف من أبناء سورية الذين ثبتوا على مقاومة إجرام وجبروت هذا النظام إلى اليوم، ولم يتركوا وسيلة ممكنة إلا عملوا بها، ولا طريقا إلا ساروا فيه من دون كلل أو ملل.

واليوم يكرر كثير من هؤلاء المتابعين والخبراء -بل المعنيين بالشأن السوري- الخطأ نفسه عندما يقررون أن الثورة في سورية ربما أفل نجمها أو أسدل الستار عليها، بسبب الموافقة على انسحاب تكتيكي تم وفق معطيات واضحة تنتهي إلى الحفاظ على أرواح ثلة من خيرة أبناء هذا الوطن.

وتعجبي أو إنكاري على من قرر نهاية الثورة في سورية لا يقل عن تعجبي وصدمتي بمن اتخذ موقف المتفاجئ وحاول تقييم الوضع في خانة غير المتوقع، فلو كان مهتما فعلا ويقرأ ويسمع الأخبار بصورة يومية -ولا أقول لحظية- لما فاتته مئات النداءات والمطالبات بفك الحصار عن الثوار في حمص، وإمدادهم بما يلزم للصمود بوجه هجمة عنيفة واجهوها وحصار مطبق عانوه أكثر من ٧٠٠ يوم، لقد استنفد المقاومون في حمص كل وسيلة ممكنة لكسر هذا الحصار، ودفعوا ثمن عملية التجريب هذه والتنقل بين الوسائل ثمنا غاليا تمثل بعدد غير قليل أبدا من أبناء وشباب العدية.

إن تاريخ المعارك والصراعات مليء بعدد مهول من الانسحابات العسكرية والتكتيكية التي وصفت بأنها ناجحة، فقط لأن الذين قبلوا بها أو بادروا إليها كانوا مدركين لأولوية وأهمية أدوات الصراع، ففضلوا الحفاظ على الكتلة البشرية التي هي مادة استمرار المقاومة الحقيقية على أي مكسب آخر، فعمدوا إلى اتخاذ قرار شجاع يضع مسألة إنقاذ العنصر البشري من مصير قاس بوصفه أولوية قصوى، ثم عادوا مرة أخرى بعد أن أعادوا ترتيب أوضاعهم ليعوضوا أي خسائر لحقت بهم؛ ومازالت العبارة المستخدمة في التفريق بين الانسحابات الناجحة والفاشلة هي «إنقاذ الكتلة البشرية».

هذه الكتلة البشرية اليوم هي من الشباب الذي يحمل لواء القضية ويبذل الغالي والرخيص من أجلها، هي العدة الحقيقية لصراع طويل، والأداة الفاعلة التي لا تجوز الاستهانة بها أو التقليل من قيمتها بحيث نسمح لأنفسنا بالتعامل معها بمثل التعامل مع أية أداة أخرى من أدوات الصراع الذي نعيشه، فنتقبل فكرة تحقيق مكسب من أي نوع في مقابل التضحية بها أو بجزء منها.

قبل ثلاث سنوات كان الثوار في حمص بضع عشرات من الشباب المطاردين بلا مشروع جامع أو هوية معروفة، لا يعلم عنهم سوى ما يقرؤه الناس في صفحات مواقع التواصل الاجتماعي أو ما يبثه إعلام النظام الذي يجرم بحقهم، واليوم هم بالمئات بل بالآلاف وقد تأملنا قليلا في أحداث الثورة التي تحولت إلى العمل المسلح لأسباب لا تخفى على كل ذي بصيرة، لرأينا أن أول المناطق التي تحررت في سورية كانت الريف الحلبي الذي أضحى مركزا لنشاط الثوار ينطلقون منه حتى وصلوا حلب واستطاعوا تحرير قسم كبير من أحيائها، فلا بد من الانتقام من هذه المناطق، ولا بد من تهجير أهلها، ولاسيما الأحياء الثائرة منها. إن ما يحدث في حلب اليوم من توحد للكتائب الثائرة المقاتلة، واستعادة الثوار كثيرا من المناطق التي استطاع النظام إعادتها إليه، إضافة إلى تحرير مناطق جديدة، كل هذا جعل النظام في حال من الخوف والهلع من تواصل الانتصارات، وربما امتدادها خارج حلب لتصل إلى معاقل هذا النظام في الساحل السوري باعتبار الوضع الجغرافي. إننا لا يمكن أن نغفل الجانب الاقتصادي؛ فالشمال السوري نجا مما وقعت فيه كثير من المدن والمناطق السورية الأخرى، من مثل حمص وبعض مناطق ريف دمشق؛ الغوطتان مثلا، فلم نسمع عن حصار ومجاعات، وذلك بسبب سيطرة الثوار على ريف حلب المتواصل جغرافيا مع «تركيا»، بل كانت الأماكن المحررة هي أكثر الأماكن رخصا في أسعار المواد الغذائية والتموينية، وقد يغامر أبناء المناطق الخاضعة للنظام للوصول إلى أسواق حلب المحررة لتأمين احتياجاتهم من الغذاء وغيره، ولعل البراميل التي يلقيها النظام صباح مساء على حلب ليس هدفها الحجر والشجر أو قتل البشر فقط، وإنما تعمل على إحداث أكبر عدد من الإصابات والإعاقات بين الكبار والصغار التي ستعود بضرر كبير في مستقبل الأيام، وستشكل عبئا إنسانيا واقتصاديا على المجتمع الحلبي. لقد أدى تحرر الريف الحلبي وجزء كبير من مدينة حلب إلى قيام مجتمع مدني؛ فإنشاء المحاكم الشرعية، واعتماد أهل حلب على أنفسهم في توفير المياه، من مثل حفر الآبار وغير ذلك، وتوفير الطاقة الكهربائية إلى جانب الاهتمام بالجانب التعليمي و إقامة المدارس والمعاهد والمستشفيات، وكذلك الاهتمام بالجانب الاجتماعي، من مثل رعاية أسر الشهداء والأيتام، كل أدركوا حقيقة المعركة التي يخوضون وعظم تبعاتها، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا وتثبيتا وعملا لإنجاح المهمة التي بادروا إليها، وكانت صفوفهم متداخلة هلامية لا يعرف أعلاها من أدناها، واليوم هي منظمة متبلورة في شكل مجموعات وفرق عمل وتخصصات معروفة، قد نقت نفسها من الزبد والعوالق عندما بان طول الطريق وظهر بعد المسافة وعرف عظم التضحية، فعاجل المنتفعون والمتسلقون إلى القفز من السفينة متحججين بقصر ذات اليد أو خوف التبعات ظنا منهم أنهم بهذا ينجون من بحر لجي، ولم يدروا أنهم في الفتنة سقطوا.

فأي تكتيك أو عملية تحفظ هذه الكتلة الصامدة المؤمنة وتحميها وتساعدها على المزيد من تنظيم صفوفها هي نجاح ونصر حقيقي في المنظور القريب والبعيد، مهما حاول البعض عن قصد أو غير قصد إظهاره على أنه غير ذلك.

حلب ومؤامرة البراميل

بقلم نجوى شبلي

ومازالت «حلب» على موعد مع الموت والدمار يأتيها عبر براميل تمطرها ليلا نهارا، وتحت سمع وبصر عالم يتفرج من دون اكتراث، وربما سنقرأ يوما في التاريخ أن هناك مدينة كانت تسمى حلب دمرها وقتل أبناءها أو شردهم حاكم ظالم تحت سمع وبصر عالم فقد كل معنى من معاني الإنسانية، وأصبح بلا ضمير أو إحساس، فلم كل هذا الحقد على حلب وهي التي كانت آخر مدينة انضمت إلى ثورة هذا الشعب؟! لو

أثار الدمار في منطقة كرم البيك «الجوزة» في طريق الباب، جراء القصف ببرميل متفجر

تصوير : مركز حلب الإعلامي

أزمة أمة

بقلم رجوى الملوحي

هناك مثل قديم يقول: «إذا أردت أن تزرع لسنة فازرع قمحا، وإذا أردت أن تزرع لعشر سنوات فازرع شجرة، أما إذا أردت أن تزرع لمائة سنة فازرع رجالا». وهنا يكمن الهم الأول وهو زراعة أسس النهضة والتطور والتقدم والتنمية عبر غراس صغيرة تنبت رجالا هم نواة هذه الأمة المشرذمة وقادة النهضة الإسلامية القادمة.

إن طريق الكرامة والعزة والتماسك هو الإسلام فبغير الإسلام لن نكون قوة ضاربة وفاعلة؛ فعندما اغتربنا عن أصولنا الحضارية ونهجنا الاسلامي أصبحنا أمة أضاعت الماضي ونسيت المستقبل بلا أمجاد؛ أرجوحة فارغة تتقاذفها الأيدي يمنة وشمالا، فزالت هيبتها ووهن العظم منها بعد أن كانت أمة الشموخ والقوة.

إن الرقعة العربية تلك التي تمتد على مساحة شاسعة من الأرض وتتوسط العالم وتنفرد بمحيطين يصلان الشرق بالغرب، والتي كانت ملتقى الحضارات ومهد التاريخ، لا تمثل منطقة نائية معزولة عن العالم لا تؤثر ولا تتأثر فيه؛ فالتغافل عن وقائع التاريخ والتعامي عن حقائق الجغرافية أمر مستحيل.

وبالتأكيد لن تنجح أية قوة على مر العصور في أن تنقل محور العالم الذي يتمركز في الأراضي العربية، ولن تستطيع أن تقلل من الثقل العظيم لهذه الأمة التي كانت حبلى بالعلم والثقافة والتطور، فطرحت هذا المولود بعد أن كانت درة للنور، واغتصبت بعد ذلك عنوة لتحمل مولودا مشوها بالمشاكل والصراعات والجهل والتراجع. فبعد أن لجأ أعداؤنا إلى إغراق أمتنا بمتاهات الحروب وجعلها ميدانا كبيرا لتصفية الحسابات، انتقلت الأرض العربية -ذلك البيت الكبير- من كونها دولة عظمى تحكم العالم إلى «كانتونات» محكومة بالقوى والنزاعات الدولية.

فبعد أن تجاهلنا الماضي ولم نتفقه بالحاضر وأغفلنا المستقبل، واغتربنا عن أصولنا الحضارية وجذورنا الفكرية ونهجنا الإسلامي القويم، وتراجعنا عن انتمائنا الأشمل، وأغرقنا في وحل التصنيفات العقائدية والعصبيات الإقليمية التي كرست الانقسام أكثر وأكدت التمزق، أضحى تراثنا الحضاري لا يغنينا عن تسول الفتات من هنا وهناك.

«إن خير أمة أخرجت للناس شاخت جذوعها وتآكلت أوراقها وماتت زهورها» تراكمات تاريخية كثيرة كانت كفيلة بإماتة بذور رجال يقع على عاتقهم انتشال هذه الأمة من وحلها، وكانت بحاجة إلى زلزال عنيف يحرك الماء الراكد في جوفنا الخانع بالاستسلام للجهل وتسول الأفكار والنهضة المزيفة.

إننا إلى أيامنا هذه لم ننجح في دفع أية عقبة من العقبات التي في طريقنا أو تجاوزها والنجاح في الخلاص منها، بل نجحنا في تعميق المشكلات وزيادتها، فأصبحنا نعيش ضمن إطار كارثة كبرى تلم بنا.

إننا نقف الآن عند مفترق طريق سيودي بنا إلى حافة هاوية جديدة إن لم نستطع تغيير مسارنا بصورة عاجلة. إن زلزال التغيير الذي قام بالثورات العظيمة التي تشهدها أرضنا العربية لكسر أول طوق يعيق تقدمنا، بمعنى طوق الحكومات المستبدة التي هي أساس كل علة زرعوها في كيان أمتنا، والتي أعمت العيون وأغفلت العقول، زلزل من تحتنا أكثر ما يزلزل من تحتهم. فإننا إلى الآن ننتظر مثالا على حصاد ثماره، ولكن للأسف نرى أننا لا نلبث أن نقوم من حفرة لنقع في حفرة جديدة لأن الأصل والأساس خاطئ، فكنا أشبه بقبطان قرر أن يبحر في عرض البحر بسفينته بلا مقود وخارطة، فلا أمنا قوة الرياح ولا غدر البحار ولا قرب الشطآن.

إن من يقوم بدفع عجلة التغيير هو هذا الشباب المتحمس الواعي لما له وما عليه، الذي يريد -بكل قوة- أن يقول كلمته ويحسن أحواله ويمهد الطريق لحياة أفضل لأبنائه.

ولكن مع ظهور نخبة من المجتمع ممن يدعون الثقافة الزائفة التي سخروها لخدمة أهوائهم همشت طبقة من المثقفين والمفكرين الأكفاء، واقتصر المشهد على رويبضة هذا الزمن من مدعي الفكر والسياسة والدين؛ فئة بعيدة عن الإخلاص مدفوعة ومأجورة بفعل عوامل داخلية وخارجية زادت من الزلل والانزلاق، فغاب التوجه العقلاني وضاعت المسؤوليات.

إن الشعوب العربية تريد أن تكون مفصلا حاسما في هذا المنعطف التاريخي الحاسم بفكر عربي أصيل، نحن نحتاج الآن إلى رجل أمة، ومفكر أمة، إلى صانع مجد جديد؛ مجد يبقى ويعمر ونتفيأ بأغصانه، وسنظل ننتظر هذا الطبيب الذي يستطيع أن يضع يده على علاتنا ومكامن دائنا، وأن يصف العلاج الناجح لنا والدواء الشافي لأمتنا.

حرية الترهيب

بقلم فادي شامية

ليست حرية أن ترهب الناس أو تعرض حياتهم للخطر، وليست صحافة أن تنشر أسماء سرية لشهود في قضية قد تجعلهم يدفعون حياتهم ثمنها. لكل حرية ضوابط، وإلا صار من يضر بالآخرين حرا فيما يفعل، ومن باب أولى يصبح الذي يضر بنفسه حرا فيما يقوم به، لكن القوانين جرمت ذلك، فعاقبت الذي يتعدى على حقوق الآخرين وسمته مجرما، بل عاقبت الذي يقوم بأعمال من شأنها الإضرار بالنفس وألزمته بصيانة نفسه.

في أكثر الدول التي يدعمها دعاة الحرية المزيفون لا حرية أبدا؛ ليس للصحافة، فهذه لا وجود فعليا لها من الأساس، وإنما لا حرية لشيء يخالف النظام الحاكم. لا بأس، رب قائل نحن في «لبنان» بلد الحريات، وهو يسير على خطى الغرب في تقديس حرية الإعلام... فهل تقبل الأنظمة – بل المجتمعات الغربية- أن يتحول القلم أو المذياع أداة للقتل؟!

عندما نشرت «الأخبار» قبل انطلاق المحاكمات أسماء وصور وإفادات «عينة من الذين سيستعرض فريق الادعاء عضلاته بإفاداتهم في سبيل إدانة حزب الله باغتيال الحريري وآخرين»، لم تمارس في هذا الأمر حرية صحافة، وإنما قامت بترهيب مقصود لدفع هؤلاء إلى طلب سحب شهاداتهم، أو معاكستها، أو الفرار من لبنان، أو رفضهم المثول أمام المحكمة، أو طلب ضمهم إلى برنامج حماية الشهود... وقد حصل ذلك كله.

رد المحكمة لم يأت جنائيا وإنما جاء وعظيا «كشف أسماء الشهود يخيفهم ويعرضهم للخطر»، وكان منتقدا حينها، لأنه فرط بمبدأ حماية الشهود.

رئيس مكتب الدفاع عن المتهمين «فرانسوا رو» رأى أن: «نشر أسماء الشهود ومعلومات عنهم لا يدخل في إطار حرية الرأي لأنه يشكل تهديدا للشهود... البيان صدر باسم الأقسام الأربعة المكونة للمحكمة... فوفقا لأحد الاجتهادات الصادرة عن المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، في الدعوة المتكونة بين صحيفة «صانداي تايمز» والمملكة المتحدة، فإن حرية الصحافة لا تتضمن نشر الأفكار التي تحظى بالقبول فحسب، بل نشر الأفكار التي قد تشكل صدمة أو قلقا للرأي العام، ولكن يبقى الحديث عن أفكار لا عن تهديد فعلي للأشخاص».

سيكون من لزوم ما لا يلزم التذكير بأن نشر أسماء الشهود جزء من الحرب التي أعلنها المتهمون على المحكمة؛ المتهمون أقوياء، ومسلحون، وقادرون على تكرار جرائمهم. الضحايا صاروا في ذمة الله، وذووهم لا يرجون إلا عدالة بطيئة، وربما هم على استعداد للمسامحة «من أجل لبنان»، أما الشهود فمقتولون نفسيا مرتين؛ مرة لأنهم عجزوا عن منع ما حدث أو مواصلته، ومرة لأنهم قد يلحقون بالضحايا إذا ما أراد القاتل الانتقام.

ولما كان المتهمون يعلمون ذلك؛ فقد توسلوا تسريب إفادات الشهود مرة عبر تلفزيون «الجديد»، ومرة عبر جريدة «الأخبار»، ومرة عبر موقع إنترنت أنشئ لهذه الغاية. القناة الرسمية التابعة للمصدر الفعلي للتسريبات «المنار» كانت تنقل – ببراءة مهنية- هذه التسريبات المسماة معلومات صحفية!

في قوانين دول العالم ما يدين انتقاد المحاكم أو أحكامها، وفي أنظمة قانونية أكثر تساهلا لا إدانة لذلك «وهو الأولى انسجاما مع وجوب إطلاق حرية الصحافة»، لكن عرقلة سير العدالة وتعريض حياة الشهود للخطر محل إدانة في قوانين العالم كلها، لأن المنطق السليم هو الذي يفرض ذلك؛ تماما كما يعد إفشاء أسرار الدفاع أو الدولة خيانة، ولو وردت عبر صحيفة أو تلفاز، وتماما كما تعد الدعوة إلى القتل والفتنة تحريضا يعاقب عليه القانون.

وعلى أية حال، ما فعلته المحكمة – بعد تأخر - ليس سابقة في مجال المحاكم الدولية، فقد سبق أن غرمت محكمة جرائم الحرب الخاصة بـ «يوغسلافيا» السابقة في العام ٢٠٠٩ «فلورانس هارتمان»، الناطقة السابقة باسم المدعية العامة السابقة «كارلا ديل بونتي» بسبعة آلاف يورو، بعد اتهامها بازدراء القضاء الدولي، بسبب كتاب «السلام والجزاء» وقد تضمن نشرا لوثائق اعتبرت الكاتبة أن المحكمة أهملتها بهدف تبرئة صربيا من جرائم الإبادة في البوسنة. يومها اعتبرت المحكمة كتاب هارتمان يمكن أن يشجع على عدم التعاون مع القضاء الدولي في قضايا جرائم الحرب، فعاقبتها.

أما ما فعله دعاة الحرية الإعلامية في بلادنا فأكبر من ذلك بكثير، لأن الهجوم على المحكمة وتحقيرها و»بلوها واشربوا ميتها» وكل ما قد قيل فيها شيء، وتوجيه قلم أو مذياع قاتل للشهود، لثنيهم عن التمسك بشهاداتهم شيء آخر.

ثم يطالبون الناس أن يتضامنوا معهم من أجل حرية الإعلام، وهم الذين ما عرفوا حرية إعلامية بعيدا عن الالتصاق بالأجهزة الأمنية، ولو كانت هذه الأجهزة تلاحق الإعلاميين على أفكارهم حتى الموت «سمير قصير نموذجا»، وهم الذي مارسوا أو باركوا حرق أو تخريب وسائل إعلامية منافسة «جريدة وتلفزيون المستقبل في العام ٢٠٠٨ نموذجا»، وهم الذي رقصوا فوق جثث شهداء أو نبشوا لهم ملفات لا يقدرون أن يدافعوا عن أنفسهم إزاءها بعدما غيبهم الموت «اللواء وسام الحسن نموذجا»، وهم الذين توسلوا الإعلام لتهديد الناس بـ «تحسس رقابهم»، أو ترقب «الموت في أسرتهم»... فضلا على كون غيرتهم على السيادة لم تتحرك عندما قام النظام السوري باستدعاء إعلاميين وسياسيين وقانونيين من العيار الثقيل في لبنان إلى قضائه المسيس.

وإذا كان غريبا دعوة «الأخبار» للتضامن معها؛ بعدما أوحى ناشرها أنه لا يخشى رئيسا أو محكمة «تدينه بتحقير رئيس الجمهورية»، أي إنه من باب أولى لا يجب أن يخشى محكمة أعلن داعموه أنها «ساقطة» و»صهيونية»، فإن العجيب أكثر هو صمت وزراء لا يقولون بكلام حاسم إن الفرق بين حرية الصحافة وعرقلة سير العدالة بمثل الفرق بين النهار والليل، وإن نظام المحكمة هو خليط من النظام القضائي اللبناني والدولي، وقد وافق عليه لبنان فصار قانون المحكمة قانونا ساريا في لبنان في نطاق عملها.

أما أكثر الأشياء عجبا فهو جمود أولئك الذين طالبوا ودعموا المحكمة الدولية؛ كيف لا يتحركون دفاعا عن ذواتهم وعن محكمة كلفتهم وكلفت البلد كثيرا، كيف لا يملؤون الدنيا لافتات تقول: نعم لحرية الصحافة، لا للتهديد وعرقلة سير العدالة باسم الصحافة... كيف لا يملؤون الشوارع بالناس التي تقول كفى إساءة إلى الصحافة، كفى إساءة إلى الحرية، ما كانت الحرية يوما ترهيبا للآخرين أو قتلهم.

الحق والشهرة لا يكفيان

بقلم أحمد دعدوش

من أكثر الأخطاء الشائعة سوءا الاعتقاد بأن الحق لا بد أن ينتصر تلقائيا على الباطل، وأن الله سيمكن للصالحين في الأرض لا محالة، وأن القافلة تسير من دون أن تلتفت إلى نباح الكلاب، وأن جماهيرية كاتب أو داعية أو إعلامي هي دليل قبوله في السماء قبل أن يقبل في الأرض. إن للنصر والتمكين شروطا عددها القرآن بوضوح تام، وليس فيها تمكين الصالحين ممن لم تكتمل فيهم شروط النصر، وإن كانوا أقرب الخلق إلى الله على الأرض، «فأما الزبد فيذهب جفاء»؛ فالباطل كالزبد على وجه الماء بكثرته وانتشاره، وقد يطفح ويغطي الأرض كلها عندما لا يجد من يقضي عليه. «وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض»، فهو باق في القاع محفوظ عن التزوير والتحريف، وقد يخفى عن العين إذا كثر الزبد على سطح الماء؛ فالحق لا يسود ولا يطفو ولا ينتشر وحده، بل يربض في الأعماق متربصا لحظة غوص الباحثين عن الكنوز لاستخراجه. القافلة تنقاد بيد سائسها، ولا تروم سوى غايتها في أبعد نقطة من الأفق يناله نظرها، قد لا تسمع نباح الكلاب من حولها، وإن سمعته فستجد في حداء السائس ما يقويها على متابعة المسير، لكن تكالب الكلاب قد يشوش عليها أجواء الطرب، وقد يعلو حتى يصم آذانها ويطيش بعقلها، فإن لم تلتفت لترى ما يجري حولها فلن تدرك أن السباع قد أكلت السائس والركاب جميعا، وأنها توشك أن تنهش لحمها أيضا. لكل باحث عن الشهرة نصيب منها، فمنهم من ينالها تامة في حياته، ومنهم من يفوته قطار الشهرة حيا فيدركه وهو جثة ليطوف به أصقاع الأرض وهو لا يدري، ومنهم من يشتهر بالشر فيغدو نارا على علم، ومن أهل الخير من لا يسمع بذكره إلا أهل بيته وإن كان ممن يستمطر به الخلق ويرزقون. يأتي بعض الأنبياء يوم القيامة ومعه صحابي أو اثنان، ومنهم من يأتي المحشر وليس معه أحد، ثم يقدم موسى عليه السلام ومعه سواد كثير، لكن معظمهم لم يهتد إلا بعد موت نبيهم وحيدا في أرض التيه، وكأن كثرة الصحابة والصالحين حول نبينا عليه الصلاة والتسليم كانت حالا لا تتكرر، وكأنها من مزايا تشريفه التي لم يؤتها الله أحدا قبله أو بعده؛ فكثرة الأتباع لم تكن يوما معيارا للحق ولا دليلا عليه، وعندما يسود الباطل وتضيع الأمانة وتنقلب المعايير فإياك وفتنة الجماهير.

لا تحكوا بالسياسة

بقلم عابدة المؤيد العظم

لو اجتمع الأهل والأحباب يتسامرون فبأي حديث يتكلمون؟ يبدؤون بالصحة والطقس والعمل... ثم علام سينتهون؟ سيصلون إلى الحديث عن أنفسهم وأهلهم والقضايا المهمة المشتركة بينهم، أليس كذلك؟

والحديث الغالب ما يحدث في «مصر» و»سورية» وغيرهما والواقع اليومي المعاش؛ من الغلاء والمعاناة، وصعوبة الحركة وسوء المعاملة، والضغط النفسي، إلى القتل والتشريد والتعذيب، وما منا إلا وأصابه بلاء منه في أهله وقرابته، فإذا فتحنا الموضوع بصورة طبيعية -لأنه مصابنا وحياتنا وآمالنا وآلامنا وأهلنا-، وجئنا لنصف الوضع قالوا لنا: «لا تحكوا بالسياسة»!

وفي إحدى المناسبات طلبت مني الحاضرات كلمة صغيرة، فأمسكت «المايكرفون» وبدأت أقول: «إن المسلمين محاصرون في الأرض في سورية وفي كل مكان، ويجب علينا ألا ننساهم وأن نشعر بآلامهم مهما كان حالنا»، وإذا بصوت فيروز يصدح في الصالة، وتأتيني المسؤولة مهرولة تحذرني من الكلام في السياسة. قلت لها بجرأة وقوة: «وأية سياسة؟ هذا الإسلام، وإن التكافل وإغاثة الملهوف شرع الله؛ وإني -وللأسف- لا أذم طاغية، ولا أعرض بقانون، ولا أجمع المال، ولا أدعو إلى الجهاد، ولا أحرض ضد الحكام، فقط أذكر المعذبين في الأرض بكلمات، وأذكر الناس بشعوب مكلومة مظلومة لكي يعلموا بمعاناة إخوانهم، فيفعلوا أقل شيء وهو الدعاء»، قالت بكل صرامة -وهي سورية-: «ممنوع! وهذه الأوامر».

ولا تظنوا أني سأتكلم في مقالي هذا عن السياسة، فإني لا أحبها، ولن أخوض فيها، وإنما سأتكلم عن الناحية الاجتماعية التي سموها سياسة، والتي جعلوها سياسة، وقالوا لنا: «إياكم والخوض فيها»، فصدقناهم؛ فظلمونا وجاسوا خلال الديار، واستباحوا حرماتنا.

وإن الأصل أننا في عصر التخصصات، وكل قوم توجهوا إلى علم من العلوم وتعمقوا فيه، وبعض العلوم يرتبط بعضها ببعض، ولكن الأمر الذي يستحق وقفة أن علم السياسة -في عرفهم- يرتبط بكل شيء: الدين والجغرافية والتاريخ والاقتصاد... وتخيلوا أنه يرتبط بعلم الأجناس البشرية وعلم النفس وعلم الاجتماع، وكل هذا ليس من أجل صلاح الفرد، وخير الأمة، وإنما من أجل تجهيل الشعوب وجعلهم قطعانا، فنرى الحكومات تستعين بهذه العلوم لتتعلم كيف تشكل قناعات الناس، وتريهم الأبيض أسود، وتجعلهم يصدقونها.

وإن السياسة بالتعريف العلمي: «علم يهتم برعاية شؤون الدولة داخليا وخارجيا وتقوم به الدولة، وهو من اختصاصها، ولكن المفروض أن تحاسب الأمة الدولة حين تخطئ، وأن تكون على متابعة ودراية بالمستجدات».

ولكن السياسة على أرض الواقع غير ذلك الوصف الجميل؛ فالسياسة تتدخل في كل شيء، وسواها من العلوم مقصور ومحصور، ويخالف قولهم فعلهم؛ فيقولون لنا لا دخل للدين بالسياسة، ثم يدخلون السياسة في الدين وفي الفتوى، ولكل حاكم عالم سلطة يسيس له الفتوى، ولم يسلم الدين من التحجيم وتم اختزاله في العبادات وحفظ القرآن، وابتعد عن المعاملات.

وجعلت السياسة الاعتراض على الطغاة ممنوعا، والاستبداد مطلوبا، وجعلت عقيدة الحاكم الفاسدة شريعة الدولة وقانونها، وأجبرت الناس على ذلك، وإنا لما تركنا السياسة وقلنا نعيش حياتنا وما لنا وللحاكم، وضعت لنا الدول الاستعمارية ومحاور الشر «أعتى الطغاة» فاستبدوا بنا، وتبين -بعد التجربة- أنهم كاذبون والسياسة تتدخل في كل شيء؛ فالسياسة من تحاصر المفكرين ويضيق على المتعلمين الواعين، وهي من ترميهم في السجون وتعذبهم العذاب الأليم أو تنفيهم من الأرض وتتسبب بهجرة العقول.

والسياسة من تغلي الأسعار، وتنشر البطالة ومن تفقر الشعوب وتجعلهم طبقتين.

والسياسة من بعث الطائفية، ومن أدخل الشيعة ومكن لهم في البلاد.

والسياسة من رفع الأذلة ووضع الأخيار، وسهل الرذيلة وزينها للجيل، وهي من دحر الأخلاق وسحقها، ونشر الفساد والأمراض الاجتماعية من الغش والرشوة والخوف والخنوع.

والسياسة من جرت المصائب والويلات للشعوب الآمنة؛ ومن أسقطت الدولة العثمانية، وتسببت بالحروب العالمية، فقتلت المدنيين، الذين لم يفعلوا أي شيء يضر أو يفسد أو يهدد وجود الدول الكبرى.

والسياسة من جعلهم يحرصون على أمن الدولة ولا يبالون بأمن الأمة؛ فيسرق مال الأفراد في وضح النهار ويعتدى على أملاكهم ومتاعهم، ويظلم بعضهم بعضا... ولا ينتصر للمظلوم حاكم أو قاض أو شرطي. وإذا دفع المعتدي رشوة أو استمال رجل دولة ذهب الحق إلى غير رجعة، وأما إن جاء بلاغ كاذب واتهموا رجلا بريئا -لثأر أو حسد- قضى في معتقلاتهم سنين عدداً

وقالوا للأمة -وهي القوة العظمى-: «السياسة بعيدة عن الحياة اليومية، ويمكنكم الحياة بشرف وأمان من دون التكلم عنها أو التعرض لها»، هكذا قالوا، فتركنا الدولة للحاكم فأفسد القضاء، وحطم الاقتصاد. وإن السياسة لم تقتصر على الحكم وسياسة أمور الدولة، وأصبح ما يسمونه سياسة يمس الحياة اليومية للأفراد، ويقيدهم في طعامهم وشرابهم وسكنهم وفي قوتهم وفي أعمالهم فإن لم يشارك الإنسان رجلا مسؤولا لا يستطيع أن يتاجر وأن ينجح في عمله، وإن لم يكن حزبيا لا يجد وظيفة، وإن لم يكن علويا قد لا ينجح بالبكالوريا، وإن لم يكد مؤيدا لا يجد له مقعدا بالجامعة.

وبقينا نردد قولهم: «سياسة ولا علاقة لنا بها»، على الرغم من وصول الأمر لأمننا وأماننا وأملاكنا وأرزاقنا. وتغيرت بلدنا وأصبح الفساد العام في المؤسسات، والفساد الأخلاقي في الطرقات، حتى وصل الأمر للقتل والحصار والتجويع ومنع الإغاثة، ومازالوا يقولون: «لا تحكوا بالسياسة».

والمشكلة الكبرى أن الناس يدركون ما يضر مصالحهم الخاصة بسرعة، ولكنهم لا يدركون المصلحة الكبرى إلا بعد فشو الفساد وظهور شره، ولذا تهتم كل دولة في بداية حكمها بإرضاء الشعوب، فنرى بعض الفرجات، فإذا ثبتت أقدامها، وصنعت أتباعها، وكبلت خيار أهل المدينة ضربت ضربتها، فيصل بأسها إلى كل بيت ويتضرر أتباعها والمصفقون لها ولا ينتبهون أن رئيسهم يخذلهم، ويظنون أنها ظروف خارجية.

وأما الواعون فلا يملكون دفع بطشها وقد تمكنت وتأصلت.

لقد أصبحت السياسة حربا أقوى وأشرس من الحروب العسكرية، وأصبحت تستعبد الشعوب وتسرق أموالها، وتغير تركيبتها وتبدل اتجاهاتها كيف تشاء، ولذلك أبعدوا الجيدين والوطنيين عن السياسة، وأقنعوهم بأن العمل السياسي مكر وخداع لا يليق بالشرفاء، ثم تخيروا لها شرار الناس.

استخفوا بنا فأطعناهم، فاستضعفونا وقتلونا وهددوا وجودنا، وهنا القضية.

وتفضلوا وانظروا ماذا فعل ابتعادنا عن السياسة: قطعوا بقولهم «لا تحكوا بالسياسة» الإغاثة وأكلوا أموالها في بطونهم، وقتلوا بها الإنسانية في قلوب الناس وقضوا على التكافل الاجتماعي، وتخيلوا أنهم أصبحوا يمنعون الرجل من إرسال النفقة لقرابته في الداخل. وأعرف رجلا ذهب ليحول بعض المال لعمه وأمه وأخواته فقالوا له: أي إعانة يجب أن تكون عن طريق الحكومات، فقال لهم: هذه ليست إعانة هذا مصروف يومي لأهلي الذين أصبحوا عاطلين عن العمل، فمنعوه من تحويلها، وقالوا أي تحويل يجب أن يكون بعلمهم وعن طريقهم، ثم يجمدون المال في مصارفهم، أو يسرقونها أو يعطونها لمن شاؤوا من غير الذين جمعت لأجلهم.

والخلاصة:

إن مصالح كل فرد تتأثر بسياسة بلده وتوجهات حاكمها، ويتأثر رزقه ويتهدد أمنه ويفقد هويته.

وافصلوا لي السياسة عن الإنسانية، أو السياسة عن الاقتصاد، أو السياسة عن النهضة الفكرية والعلمية والحضارية، ثم قولوا: «لا تحكوا بالسياسة».

بعدما فجروا ثورة الحرية والكرامة..

نظام الأسد ينتقم من أطفال سورية

خاص العهد:
هاني كريم – إبراهيم عبد الرزاق

أطفال سورية أشعلوا الثورة

لم يكن مستغربا أن تكون شرارة الثورة التي مازال الشعب السوري يخوض غمارها على يد أطفاله ويافعيه، فالطفولة في سورية أحد أهم ضحايا نظام الأسد وعصاباته المتسلطة، كما أن أطفال سورية هم أكثر من اكتوى بنار هذا النظام حينما لم يقم وزنا لهم ولم يكترث بتنميتهم، وتركهم ضحايا الفقر والجهل والتخلف، كي يتفرغ لمصالح الأسرة الحاكمة والأسر التي تدور في فلكها.

صحيح أن جيل الأطفال الذي أشعل الثورة لم يكن وحده ضحية النظام المتسلط، بل سبقته أجيال واجهت الحال نفسه، إلا أنه لم يشهد ما شهدته من إرهاب وقمع وقتل ووحشية واجه بها الأسد الأب الشعب السوري في ثمانينيات القرن الماضي، مما يعني تجرد هؤلاء الأطفال من الرعب الذي يعيشه آباؤهم من فكرة التمرد على الطغمة الحاكمة، ومن ثم المسارعة إلى الانخراط في موجة الربيع العربي بعدما اجتاحت المنطقة انطلاقا من «تونس».

في الحديث عن شرارة الثورة السورية يتحدث السوريين عن كثير من «الشرارات» التي مثلت إرهاصات للثورة السورية التي تبلورت في شكلها الثوري بعدما امتدت التظاهرات والاحتجاجات إلى عموم أرجاء الوطن، ولكن الأبرز في تلك الشرارات هو الأطفال، بدءا بتوزيع المنشورات التي تحرض على التظاهر في محافظات «القامشلي» و«دير الزور» و«درعا» و«ريف دمشق»، وبكتابة شعارات إسقاط النظام على الجدران من قبل مجموعة أطفال بدرعا، سرعان ما اعتقلت على يد الأمن السياسي بقيادة «عاطف نجيب»، وتعرض هؤلاء الأطفال لأبشع أنواع التعذيب والتنكيل، حيث بلغت حد اقتلاع الأظافر، مما أحدث هزة عنيفة لدى آبائهم وأقربائهم وناشطين بالمحافظة قرروا جميعا بعد مراجعة نجيب وإجراء حوار عقيم معه التظاهر عند المسجد العمري بدرعا البلد بعيد صلاة الجمعة في ٢٨ آذار ٢٠١١، وهي التظاهرة التي شهدت ارتقاء أول شهيد في الثورة السورية، وسرعان ما تبعت هذه التظاهرة احتجاجات امتدت إلى محافظات أخرى لاحقا.

وفي كل محطة من محطات الثورة كان استشهاد الطفل السوري ومشاهد انتهاك طفولته والتنكيل به من قبل نظام الأسد دافعا رئيسيا لمتابعة مسيرة الثورة وزيادة زخمها، فمن «حمزة الخطيب» و«ثامر الشرعي» في درعا إلى «هاجر الخطيب» بحمص إلى «إبراهيم الشيباني» في دمشق، وعند تشييع كل من أولئك الأطفال كانت تتحول مواكب التشييع إلى تظاهرات عارمة تتدفق عليها السيول البشرية في مشاهد تاريخية لم تتكرر في خضم الثورة السورية إلا قليلا.

الشهداء الأطفال

يستمر سقوط الشهداء من الأطفال مع استمرار قوات الأسد استخدام أنواع الأسلحة المختلفة في حربها ضد الشعب السوري لقمع ثورته المستمرة منذ أكثر من ٣ أعوام، ومع صعوبة توثيق ضحايا بطش قوات الأسد جميعهم فإنه من الصعب تقديم أرقام دقيقة لعدد الشهداء من الأطفال، وعلى أية حال، فإن موقع «قاعدة بيانات الثورة السورية» الذي يعنى بتقديم إحصائيات متنوعة عن تداعيات الحرب السورية ذكر أن ١١٣٠٠ هو عدد الأطفال الشهداء إلى تاريخ ٨ أيار/ مايو ٢٠١٤.

وتراوحت أسباب استشهاد الأطفال ما بين قصف مدفعي وجوي لاسيما بالبراميل المتفجرة، وإطلاق النار المباشر والقناصة، والإعدام الميداني، والقصف بصواريخ «سكود».

وتشير التقديرات إلى أن نسبة ضئيلة من أعداد هؤلاء الشهداء هم من المجندين في صفوف الثوار والجيش الحر ممن سقطوا في معارك أو اشتباكات، بينما غالبيتهم المطلقة من المدنيين العزل، كما تشير التقديرات إلى أن الثلث تقريبا من أعداد الشهداء الأطفال هم من الإناث.

تميزت حرب النظام السوري على الشعب بعدم تمييزها بين المستهدفين، فقوات الأسد تعتبر كل من ليس في حلفها عدوا وحاضنة للعدو، كما أن تجرد رأس النظام من الشعور الأخلاقي وغياب الرادع الحقيقي وهزالة التنديد الدولي أسهم بإمعان النظام في سياسة الأرض المحروقة، فلم يستثن من همجيته فئة الأطفال على الإطلاق.

اعتقال الأطفال وتعذيبهم

لم يتوان نظام الأسد وأجهزته الأمنية المختلفة عن اعتقال الأطفال وزجهم في سجونه ومعاملتهم بصورة قاسية ووحشية.

وقد وثق «مركز توثيق الانتهاكات» ٩٩٧ حالة اعتقال ذكور أطفال في سجون النظام و٣٨ حالة اعتقال إناث أطفال، ناهيك عن الحالات غير الموثقة، كما وثق حالات إعدام أو موت تحت التعذيب لمعتقلين أطفال داخل سجون النظام ومراكز احتجازه بحق ٧٣ طفلا وطفلتين، ومنهم على سبيل المثال: الشهيدان «حمزة علي الخطيب» و«ثامر محمد الشرعي» والشهيدة الطفلة «عفاف محمود السراقبي».

وأصدرت الأمم المتحدة في شباط/ فبراير الماضي تقريرا مفصلا عن وضع الأطفال السوريين وما لحقهم من انتهاكات، حيث تناول التقرير تفاصيل اعتقال نظام الأسد أطفالا لا تتجاوز أعمارهم ١١ سنة، لارتباطهم المزعوم بكتائب الثوار، خلال حملات اعتقال واسعة النطاق، مشيرا إلى أن «الأطفال تعرضوا لسوء المعاملة والتعذيب، لانتزاع الاعترافات منهم، أو إذلالهم، أو من أجل الضغط على أحد الأقارب للاستسلام أو الاعتراف».

ويشمل التعذيب وفقا للتقرير «الضرب بالأسلاك المعدنية، والسياط والعصي الخشبية والمعدنية، والصدمات الكهربائية، بما في ذلك على الأعضاء التناسلية، وسحب أظافر اليدين والقدمين، والعنف الجنسي، بما في ذلك الاغتصاب أو التهديد بالاغتصاب، وعمليات إعدام وهمية، وحروق بالسجائر، والحرمان من النوم، والحبس الانفرادي، ومشاهدة تعذيب الأقارب».

وأشار التقرير إلى إفادات أوردتها تقارير أخرى، تشير إلى أنه تم تعليق الأطفال من الجدران أو الأسقف من معاصمهم أو أطرافهم الأخرى، وأجبروا على وضع رؤوسهم وأعناقهم وسيقانهم خلال الإطارات حين تعرضهم للضرب، كما تم تقييدهم بلوحة خشبية وضربهم.

وأشارت التقارير الصادرة بهذا الشأن جميعها أن السجون التي تقوم فيها قوات الأمن في نظام الأسد باعتقال الأطفال فيها هي السجون والمعتقلات نفسها التي يحتجز فيها الكبار، مما يعني تعرض الأطفال لأنواع التعذيب الذي يتعرض له الكبار كافة، وكذلك جعلهم عرضة للتحرش الجسدي.

أما على صعيد المفقودين، فلا توجد أرقام أو إحصائيات لأعدادهم وإن كانت لجان حقوق الإنسان جميعها المعنية بالشأن السورية تشير إلى أنها مرتفعة، وقد ذكرت صحيفة «غارديان» البريطانية في تقرير أعدته حول المفقودين في سورية خلال السنوات الثلاث الماضية أنه يقدر عددهم بـ ١١ ألفا، مع تأكيد الصحيفة على أن الرقم الفعلي قد يكون أكبر من ذلك بكثير.

وتبعا لعدم وجود أرقام أو تقديرات دقيقة أو تقترب من الواقع فيما يتعلق بالمفقودين فإن فئة الأطفال ليست بمعزل عن ذلك، ومن ثم لا توجد إحصاءات أو تقديرات تذكر عدد الأطفال المفقودين في سورية، وهذا يملي على اللجان الحقوقية والمراكز التوثيقية مسؤولية إضافية بهدف الحفاظ على الطفولة وحمايتها، وإن كان بتوثيق انتهاكات نظام الأسد بحقها.

التشرد واللجوء

لا شك أن مشهد اللجوء الذي أجبر عليه أكثر من ٧ ملايين مواطن سوري في الداخل والخارج، والدمار الذي لحق بالمباني السكنية وكذلك المرافق والمنشآت العامة بما فيها المدارس والمستشفيات والمراكز الطبية، بالإضافة إلى فقدان المتضررين معظمهم من لاجئين وغيرهم أعمالهم ومشاغلهم، مما وسع نطاق الفقر، أدى كل ذلك إلى حرمان كثير من الأطفال من أهم حقوقهم وحاجاتهم، بما فيها المأوى والتعليم والصحة، وأجبرهم على التوجه إلى العمل المبكر.

فإقامة مئات الآلاف من اللاجئين داخليا وخارجيا في المخيمات، يؤدي في الغالب – ولاسيما حينما لا يخضع لإدارة موحدة ولا يتمتع بمرافق خدمية كاملة – إلى ميل الأطفال باتجاه التسكع والتشرد والتسول، وهي ظاهرة باتت تبعث على القلق، إن كان على صعيد الوضع النفسي للأطفال أو على صعيد احتمال تحولهم إلى الجريمة مع الوقت.

كما حرمت عملية اللجوء الأطفال معظمهم من إكمال تعليمهم بالتوازي مع تهديم آلاف المدارس أو استعمالها مأوى للاجئين أو مراكز اعتقال لقوات الأسد أو ثكنات عسكرية.

ووفقا لتصريح وزير التربية بالحكومة المؤقتة «محيي الدين بنانا» فإن هناك ٣,٥ ملايين طفل بحاجة للتعليم، مشيرا إلى أن حجم الكارثة التي حلت بمجال التعليم كبيرة جدا، كما تعرض عدد كبير من المدرسين للفصل من وظائفهم بسبب علاقاتهم بالنشاطات الثورية، مما أوقفهم عن ممارسة مهنة التعليم، ومن ثم توقف الطلاب عن الدوام في بعض المدارس وفقا للوزير.

وبالنظر إلى وضع الأطفال التعليمي بصورة عامة فإن منظمات دولية دقت ناقوس الخطر وأعلنت أن جيلا كاملا من السوريين قد ينشأ بعيدا عن العلم والتعلم، مما يهدد مستقبل البلاد القريب على المستوى العلمي.

أما على المستوى الصحي، فقد أصاب الأطفال ما أصاب الكبار من نقص في العلاج وصعوبة في إجراء العمليات اللازمة، كما لحقهم من العاهات الجسدية بسبب إصابات الحرب ما لحقهم، إلا أن ما عمق كارثتهم الصحية انتشار الأوبئة في ظل الحصار الذي تفرضه قوات الأسد على المناطق الخاضعة لسيطرة الثوار، مما يمنع أو يقلل من إمكانية التلقيح ضد تلك الأوبئة، وأشهرها «شلل الأطفال».

وشهدت نهاية العام الفائت تحركا دوليا لاسيما منظمة الصحة العالمية لمكافحة هذه الأوبئة، حيث تقول المنظمة إن الشرق الأوسط لم يشهد «شلل الأطفال» منذ ١٠ سنوات تقريبا، وعلى مدار العام ٢٠١٣ تم الكشف عن فيروس شلل الأطفال في عينات مياه الصرف الصحي.

وقد أدى تفشي شلل الأطفال في سورية إلى استجابة دولية جماعية، وهو أول تفش لهذا الوباء في سورية منذ عام ١٩٩٩، وأوقعت إلى الآن ١٠ أطفال مصابين بالشلل، وتشكل خطرا على مئات الآلاف من الأطفال في أنحاء الإقليم جميعها، بحسب المنظمة الدولية.

أثر إجرام النظام النفسي على الأطفال

لا شك أن الحرب المستعرة التي تدور رحاها في سورية ستترك آثارا نفسية واجتماعية على أطفال سورية، كما أن الصدمة الناتجة عن أهوال الحرب قد تحدث اضطرابات عميقة لدى الأطفال. ويؤكد المختصون في علم الاجتماع معظمهم أن الحرب تسبب للطفل في بعض الأحيان ما يسمى بـ «اضطراب ما بعد الصدمة المؤلمة» وقد تكون الصدمة ناتجة عن فقدان شخص عزيز على الطفل، من مثل استشهاد أحد الوالدين أو الأقارب، وهناك صدمة تدمير البيت أو المدرسة، وصدمة التعرض لنوع من أنواع الإساءة الجسدية أو الجنسية، وصدمة التعرض لإعاقة وفقدان أحد أعضاء أو حواس الجسم.

وأشارت تقارير صادرة عن منظمات حقوقية أن قوات الأسد اعتقلت أطفالا لا تتجاوز أعمارهم ١١ سنة، وفي أثناء اعتقالهم تعرضوا لسوء المعاملة والتعذيب حيث تم ضربهم بالأسلاك المعدنية، والسياط والعصي الخشبية والمعدنية؛ والصدمات الكهربائية، وسحب أظافر اليدين والقدمين، والعنف الجنسي بما في ذلك الاغتصاب، وحروق بالسجائر، مما أدى إلى إصابة بعضهم بعاهات جسدية.

ولفتت هذه المنظمات إلى أن الحرب خلفت عاهات جسدية دائمة وإعاقات لعدد كبير من أطفال سورية بعد إصاباتهم بطلقات نارية أو شظايا ناتجة عن استهداف قوات الأسد منازل المدنيين بالقذائف والصواريخ والبراميل ا لمتفجر ة .

ومن إفرازات الحرب السورية أيضا الارتفاع غير المسبوق لعدد الأيتام، حيث وصل عدد أطفال سورية ممن فقدوا أباءهم أو أمهاتهم أو الاثنين معا إلى حوالي ٩٠ ألفا، بحسب منظمة «اليونيسكو».

ويقول الناشط والحقوقي «أبو حمزة» إن نظام الأسد عندما يقصف المدن لا يفرق بين مدني أو مسلح، كما أن قناصة النظام يستهدفون الأطفال من دون سبب، فقط لأنهم يوجدون في المناطق التي يسيطر عليها الثوار.

وأشار أبو حمزة إلى أن النظام يتقصد استهداف الأطفال لينتقم من آبائهم الذي تمردوا على حكم بشار الأسد المجرم، موضحا أن الدافع الأكبر الذي أجبر الأهالي على السفر أو اللجوء إلى دول الجوار هو خوفهم على أولادهم من القتل على يد قوات الأسد.

مجازر استهدفت الأطفال

لقد ارتكب النظام الطائفي مجازر عدة بحق أطفال سورية، من مثل مجزرة «الحولة» و«بانياس» وغيرهما، وقد راح ضحية هذه المجازر مئات الأطفال.

ويعتقد الناشط «أبو البراء الحمصي» أن مجزرة الحولة بريف حمص والتي ارتكبتها قوات الأسد ومجموعة من الشبيحة من القرى العلوية المجاورة للحولة في ٢٠١٢/٥/٢٥ كانت أكثر المجازر بشاعة ودموية، لأن الأطفال قتلوا فيها بالسكاكين والسواطير، مضيفا أن الصور التي نشرها الناشطون عبر الإنترنت للمجزرة أظهرت هول الانحدار الإنساني والأخلاقي الذي غاص فيه مؤيدو بشار الأسد.

وفي شهر أيار من العام الفائت نفذت عناصر من ميليشيا «جيش الدفاع الوطني» - وكانوا جميعهم من الطائفة العلوية - هجوما على قرية «البيضا» وحي «رأس النبع» التابعين لمدينة بانياس في محافظة «طرطوس»، وقتلوا أعدادا كبيرة من المدنيين من الأطفال معظمهم.

استهداف الأطفال في مدارسهم

لم يكتف نظام الأسد بقتل الأطفال في المناطق الثائرة بل أخذ ينتقم من أي تقدم على الأرض للثوار باستهداف الأطفال في مدارسهم، كما حدث مؤخرا عندما استهدف بقذائف الهاون مدرسة «بدر الدين الحسني» الشرعية في «حي الشاغور» بدمشق، مما أسفر عن مقتل ١٤ طفلا وإصابة أكثر من ٨ بجراح.

وفي حلب قصف طيران النظام الشهر الفائت مدرسة «عين جالوت» بالصواريخ راح ضحيته أكثر من ١٠ أطفال.

ولقد ذكرت وسائل إعلام النظام في محاولة منها لتشويه الحقيقة وخلط الأوراق أن من قام بقصف المدرسة الشرعية هم الثوار وأن قذائف الهاون أتت من المناطق المحررة في ريف دمشق، في حين أكد ناشطون أن قوات النظام هي من قصفت المدرسة الشرعية لافتين إلى أن القصف جاء من قوات النظام القريبة من دمشق.

العهد في حوار خاص مع رئيس رابطة المرأة السورية "لبابة طيفور" للحديث عن الدعم الذي قدمته الرابطة لأطفال سورية

حاورتها أروى عبد العزيز | مدير تحرير الشؤون السياسية

عرفت «رابطة المرأة السورية» التي تأسست خارج سورية في ٢٠٠٦ كمنظمة من أهم منظمات المجتمع المدني التي تهتم بشؤون المرأة والطفل، ومع اندلاع الثورة السورية المباركة كان للرابطة دور كبير وفاعل في دعم اللاجئين السوريين في الأردن وفي الداخل السوري أيضا، وتأمين احتياجاتهم الأساسية، بالإضافة إلى الدعم المعنوي والنفسي، وتخفيف المعاناة عن النازحين ولاسيما الأطفال حيث تركت الحرب آثارا كبيرة في نفوسهم.
العهد التقت رئيس رابطة المرأة السورية «لبابة طيفور» وكان هذا الحوار:

- لا تخفى عليكم الآثار المترتبة جراء الحرب والأوضاع المعيشية الصعبة على أطفال سورية، ولديكم برنامج مشترك بين رابطة المرأة السورية ومشروع سيدرا للدعم النفسي، حدثينا عن هذا البرنامج، وما الذي قدمه من علاج نفسي للأطفال؟!

- يعاني كثير من الأطفال السوريين اضطرابات نفسية، تصل إلى درجة المرض النفسي في بعض الحالات، نتيجة المشاهدات والأحداث العنيفة التي تعرضوا لها بسبب النظام المجرم في سورية، الذي لم يرحم طفلا أو امرأة أو شيخا ضعيفا، وهذه الحالات تحتاج إلى اهتمام وعلاج نفسي خاص، قد تطول أو تقصر مدته بحسب درجة الحالة.

سيدرا هي أول طفلة سورية تم علاجها في المركز، وتحسنت حالتها الصحية، وهي لا تتجاوز ست سنوات فقدت والديها وأخاها الأصغر أمام عينيها، خلال تعرض سيارتهم إلى قذيفة أدت إلى احتراقهم، وهي تصرخ وتبكي من ألم المنظر، وقد تم إنقاذها مع بقية إخوتها من حريق السيارة بعد أن أصيبو بشظايا. فأصبحت الطفلة تعاني الخوف الشديد، وتراودها أحلام مزعجة، تقلق نومها، فتستيقظ فزعة تبكي وتصرخ بحرقة، وبصوت عال تنادي أمها وأباها وأخاها كل يوم. وبفضل الله تم علاج أكثر من ثلاثين طفلا على ثلاث دفعات، والشكر موصول للدكتور «جاسم المطوع» الذي أشرف على هذا المشروع الخيري ومولّه، وكانت رابطة المرأة السورية هي الجهة المنفذة. وأود أن أشير إلى أن الرعاية النفسية للأطفال يجب أن تولى أهمية وعناية أكبر من قبل الجهات والهيئات والمنظمات العاملة، حتى يستطيع الأطفال أن ينشؤوا بصورة سوية، ويصبحوا مواطنين نافعين لبلدهم وأمتهم بدلا من أن يصبحوا عالة على المجتمع، وكلما كان التدخل التوجيهي والعلاجي مبكرا كانت النتيجة أفضل، لذا نحن بحاجة إلى توعية المجتمع والأهل بألا يتساهلوا أو يغضوا الطرف، وعليهم المبادرة والإسراع في علاج أبنائهم.

الطفلة سيدرا – الأردن

- لرابطة المرأة السورية الآن مكتب في أنطاكيا، متى تم افتتاحه، وماهي نشاطاته في الداخل المخيمات على الحدود؟!

- عملت رابطة المرأة السورية ثماني سنوات، ومازالت لخدمة أهلنا السوريين في الأردن، فمنذ أن نشأت الرابطة في عمان عام ٢٠٠٦ قدمت كثيرا من المشاريع الإغاثية والتنموية والثقافية، والحملات التوعوية لأهلنا السوريين، وبعد مرور ثلاث سنوات على الثورة السورية المباركة، واستمرار صمود أهلنا في سورية، وتحرير كثير من الأراضي في شمالي سورية، فقد رأت رابطة المرأة السورية أهمية خدمة أهلنا في داخل سورية، وتنفيذ ومتابعة المشاريع بصورة مباشرة، لذا تم افتتاح مكتب رابطة المرأة السورية في أنطاكيا في شهر حزيران عام ٢٠١٣، وانطلاقا من اهتمامنا بالمرأة السورية، ورغبة منا في خدمتها والارتقاء بمستواها الثقافي والمهني والفكري، فقد قمنا بعدد من المشاريع ومنها: افتتاح مركز تدريبي وتعليمي للنساء والفتيات في قرية أطمة، وهو يقدم الدورات المستمرة في المجالات الدعوية والتربوية والتعليمية والتنمية البشرية، ويقدم المركز خدماته للمئات من السيدات والفتيات من أهل القرية والقرى المجاورة، بالإضافة إلى افتتاح مركز للتدريب المهني للسيدات في مخيم الشهداء في ريف إدلب المحرر، حيث تم تخريج دفعتين من السيدات والفتيات اللواتي تعلمن مهنة الخياطة ومهنة الحلاقة للسيدات. كما تم افتتاح مشروع مدرسة ابتدائية في مخيم الشهداء، لتعليم أطفال المخيم والمخيمات المجاورة، حيث يضم المخيم مئتي أسرة فقدت معيلها، فإما شهيد أو معتقل أو مفقود. هذا بالإضافة إلى مشروع الحقيبة النسائية لمخيمات الداخل السوري، نظرا للظروف الصعبة التي تعيشها المرأة السورية في مخيمات النزوح في الداخل، حيث يوجد أكثر من ٣٠ ألف امرأة سورية تقيم في ١٠ آلاف خيمة موزعة في ٥٦ مخيم للنزوح في شمالي سورية في المناطق المحررة، بالقرب من الحدود السورية التركية، وقد تم توزيع ألف حقيبة نسائية تضم احتياجات خاصة للمرأة، إلى جانب المشاريع التنموية الصغيرة كمشروع مشغل خياطة أو بقرة حلوب أو محل صغير لإعالة الأسرة. ونود أن نتقدم بالشكر لكل من أسهم في دعم هذه المشاريع، ومساعدة المرأة السورية لتجاوز محنتها وظروفها الصعبة، ولا بد من الإشارة أن الاهتمام بالمرأة السورية هو من أولويات رابطة المرأة السورية، باعتبار أن المرأة في الحروب والكوارث يقع على عاتقها العبء الأكبر في تحمل ضغوط الأسرة نفسيا وماديا، خاصة في غياب الأب أو الأخ الأكبر، ولذلك فإن مساعدة المرأة على تجاوز الصعوبات التي تمر بها ورفع إمكانياتها النفسية والاجتماعية والمادية، لتصبح مؤهلة لتخطي الأزمة، وتجاوز المحنة بسلام، وقادرة على إكمال المشوار مع أطفالها وعائلتها، مما سيكون له الأثر الايجابي في أفراد الأسرة جميعا، والوصول بهم إلى بر الأمان.

مركز أطمة – ريف إدلب المحرر

- وماذا عن نشاطاتكم وفعالياتكم لأبناء الجالية السورية؟!

- مع بداية الثورة السورية المباركة، انضم إلى رابطة المرأة السورية عدد من الأخوات الفاضلات، اللواتي كان لهن إسهامات فاعلة في خدمة الثورة السورية، ومن الأمثلة على ذلك، قيام رابطة المرأة السورية في الكويت بعدد من الأنشطة والفعاليات، للتعريف بالثورة السورية؛ ثورة العز والكرامة والحرية، وقدمت الأنشطة المختلفة، بالإضافة إلى خدمة الجالية السورية في الكويت، من خلال الأنشطة المستمرة بمثل الدورات التدريبية، والمحاضرات التوعية، وحفلات العيد للأطفال، والنادي الثقافي، وكان لهم الفضل في دعم عدد من المشاريع الإغاثية والتنموية داخل سورية وللاجئين في الأردن أيضا.

- نظام الأسد حرم كثيرا من أطفال سورية من آبائهم وأمهاتهم، ونتيجة ذلك ارتفعت أعداد الأيتام. من المعروف أن الرابطة لديها مشروع كفالة الأيتام، عرفينا أكثر بهذا المشروع؟!

- بدأت رابطة المرأة السورية بمشروع كفالة الأيتام منذ تأسيسها في عام ٢٠٠٦، وقد ظهرت الحاجة إلى تطوير هذا المشروع، وزيادة قدرة العاملين فيه، من خلال اعتماد برامج متخصصة، وذلك مع ازدياد الحاجة لهذه المشاريع، بزيادة أعداد الأيتام والأسر التي فقدت معيلها نتيجة للقمع والظلم الكبيرين اللذين مارسهما نظام الأسد ضد الشعب السوري، فقد وصلت أعداد الشهداء والمفقودين والمعتقلين إلى مئات الآلاف، ونتج عن ذلك مئات الآلاف من الأيتام والأرامل والأسر من دون عائل.
يقوم دور رابطة المرأة السورية كوسيط بين كافل اليتيم واليتيم، سواء كان اليتيم في الأردن أو في المناطق المحررة داخل سورية، كما تقوم رابطة المرأة السورية بإيصال الكفالات للأيتام في بعض المناطق التي مازالت تحت سيطرة النظام، على الرغم من كثير من المخاطر الأمنية التي نواجهها في سبيل ذلك. تساعد البرامج المتخصصة في متابعة كل حالة بصورة دقيقة، حيث إن كل عملية كفالة ليتيم تمر بسلسلة من الإجراءات المعقدة والمتعبة، من حيث جمع المعلومات والوثائق المطلوبة، والتأكد منها وإدخال البيانات، ومتابعة الجهة الممولة، ومتابعة استلام المبالغ وتسليمها، وتوثيق ذلك وإرساله إلى الجهات المانحة. وإنه ليسعدنا أن نتوجه بالشكر للجهات التي تقدم الدعم المادي للأيتام السوريين، سواء كانت هذه الجهات مؤسسات أم أشخاصا، كما أتوجه بالشكر للكادر العامل في رابطة المرأة السورية، لتحمله الصعوبات الكثيرة وضغوط العمل الكبيرة، من أجل إيصال الكفالة إلى مستحقيها، ورسم البسمة على وجوه الأطفال، ويقدر عدد الأيتام التي تكفلهم رابطة المرأة السورية ١٥٠٠ يتيم.
ولابد من العناية باليتيم، ليس من الناحية المادية فقط بل من المناحي التربوية والنفسية والتعليمية والثقافية، من خلال برامج ومشاريع تنفذ على أرض الواقع، وتهتم بالطفل اليتيم وبالأم التي تقوم برعايته، وهذه المشاريع حقيقة فيها قصور كبير، وعلينا جميعا من منظمات وجهات مهتمة بالطفل والمرأة تداركه، والسعي إلى تضييق الفجوة قدر الإمكان.

- بوصفكم منظمة مجتمع مدني تهتم بالمرأة والطفل، ما هي مشروعاتكم المستقبلية؟!

- تقوم رابطة المرأة السورية في المرحلة الحالية بالتحضير لملتقى خاص بالرابطة، لوضع استراتيجية للمرحلة المقبلة، من أجل تنسيق الجهود، وتكاملها في فروع رابطة المرأة السورية كافة، ووضع الخطط والمشاريع التي تحقق أهداف الرابطة، في الارتقاء بمستوى المرأة السورية، وتأهيلها، وتفعيل دورها في المشاركة لبناء المجتمع المدني، وأن يكون لها إسهام ايجابي وفاعل في خدمة الوطن.
فمن الملاحظ وجود القليل من المنظمات النسائية السورية أو المنظمات والهيئات المهتمة بالمرأة والأسرة السورية والقضايا الاجتماعية، فمثلا لا يوجد مركز دراسات مختص بالمرأة السورية والتغيرات الاجتماعية الكبيرة التي يمر بها المجتمع السوري. كما أننا نعد المرأة مكونا مهما في المجتمع السوري، ويزداد الاعتماد عليها في زمن الحروب والكوارث، حيث باتت تشكل الأغلبية في المجتمع. فإن تمكين المرأة في مناحي الحياة المختلفة سيساعد الشعب السوري على تجاوز المحنة وتخطي الأزمة، والنهوض من جديد لبناء الوطن، وتحقيق الحرية والتقدم والازدهار.
فالأم التي ربت جيل التضحية والفداء والعز والنصر، هي الأم التي تزرع في نفوس أبنائها القيم الفاضلة، وحب العمل، ورفعة الوطن، والعيش الكريم.

أطفال سورية وأثر الحرب فيهم

العهد | دجانة بارودي - أخصائية اجتماعية

القصة المعروفة عن ذلك الجد الذي ينصح حفيده بضرب المسمار بالخشب ثم قلعه بعد ذلك، ليرى أن المسمار قد ترك أثرا واضحا لا يمكن إخفاؤه، ليستدل بذلك على أثر الكلمة الجارحة في النفس، وضرورة اختيار الكلمات المناسبة قبل التحدث. هذه القصة دعتني إلى التفكير بأن الكلمة الجارحة تترك أثرا في النفس، فما بال الصورة المؤلمة لشخص عزيز قضى برصاص قناص أو بيت هدمته صواريخ طيارة أصمت الآذان.
كيف سيكون الأثر في طفل فقد أحد أطرافه، وزوجة يتم أطفالها، ورب أسرة يبحث في القمامة عن لقمة يسد بها جوع أطفاله. وكما هو الخشب إن كان الغصن طريا نديا، ووضع المسمار فيه، فقد يؤدي إلى كسره أوفلقه، وكذلك الإنسان كلما كان صغيرا تركت المواقف التي يمر بها أثرا عميقا بحسب قساوتها. وليس أشد قساوة من أثر الحروب على النفس وأصعبها ما يحدث في سورية، حيث يعاني الطفل السوري من آثار تختلف حدتها بحسب عمره، وشدة الموقف وإدراك البيئة المحيطة به لاستيعابها، فالحرب تؤثر في الطفل السوري من الجوانب الاجتماعية جميعها، والتعليمية والصحية والاقتصادية وكل هذه الجوانب يؤثر بشكل مباشر على نفسية الطفل. ويكون الأثر النفسي إما بدوافع داخلية بحسب شخصيته وطريقة تعامله مع الأحداث، أو من أسباب خارجية تكون بسبب تغيير الروتين المرتبط بالأمن ونمط الحياة المستقر وفقدان مصدر الأمان.
وعلى الرغم من أن الحديث عن أثر الحروب دائما يكون سلبيا إلا أن تحليل الأثر النفسي لطفل سوري عايش قسوة الاحداث على الجوانب المختلفة، سيكون هادفا وتنمويا من خلال طرح حلول للتعامل مع تلك الآثار النفسية للحد من أذاها على المدى الطويل، أذكره من خلال الجوانب الأربعة الآتية:
أولا: الجانب الاجتماعي: فقدان أحد الوالدين، توتر العلاقات الأسرية بسبب التوتر والضغط، ظروف اللجوء وما يصاحبه من تغيير في المجتمع وغيرها من الأسباب المرتبطة بالحرب السورية، تؤثر بشكل سلبي في نفسي الطفل، حيث تختلط مشاعر الخوف والتوتر والشعور بالذنب والحزن والألم، كذلك مشاعر الغضب والرغبة بالانتقام، فيفقد الطفل وعيه الذاتي واستقراره النفسي، ويستبدل هذه المشاعر السلبية بما هو فطري لديه من مشاعر الحب والسعادة وغيرها. وبما أن الإنسان وبالأخص الطفل اجتماعي بفطرته فإن هذه التغييرات النفسية تؤدي بلا شك إلى تغيير برؤيته للمستقبل لكونه جزءا من مجتمع أفقده ما هو فطري وبديهي من المشاعر الإيجابية. وبعيدا عن السلبية بذكر تفاصيل الأثر النفسي يجدر بنا التأكيد على دور المجتمع بترميم ما تم تدميره من مشاعر، وإن كان المجتمع غير متقبل لوجود هذا الطفل فيه، كما في حالات اللجوء ووجود الأطفال في بيئات غير حاضنة، كما هو حال اللاجئين عند حدود لبنان أو المخيمات العشوائية، فيكون الدورالأكبر للأسرة والأم تحديدا، حيث تقوم بتعويض وسد النقص العاطفي لديه، ويكون ذلك من خلال ضم الطفل يوميا مرات عدة، مسك يديه بحيث يتلامس الكفان، اللعب بشعره، مناداته باسمه أو بلقب محبب إلى نفسه بمثل الشجاع أو الرائع أو المميز، وتقصد مدحه أمام الناس، ومساعدته بتكوين صداقات، وسؤاله يوميا أسئلة تختص بمشاعره (مثلا كيف تشعر اليوم، هل أنت سعيد، ماذا يغضبك، كيف أستطيع مساعدتك لتشعر بالسعادة وغيرها).

> **الحرب في سورية لها أثر مؤكد في نفسية الطفل، لكن وعي الأهل والمجتمع يسهم في تقليص وتحديد وتبديل مسار ذلك الأثر، ومالنا إلا الدعاء بالفرج والنصر والهداية .**

ثانيا: الجانب التعليمي: وهذا جانب لا تظهر خطورته في الأحوال التي يكون الطفل فيها آمنا ومستقرا بشكل واضح كما هي الحال في الحروب، فالتعليم يعني بناء الإنسان وتنميته والتركيز على مستقبله، وتوقف التعليم أو حتى تضرره يؤذي نفسية الطفل الذي يفقد المعنى واللذة في حياته. وعلى الرغم من أن الطفل في الأحوال العادية يفضل الراحة والإجازة عن الذهاب إلى المدرسة إلا أن حرمانه من التعليم يعني فقدانه الإحساس بالنجاح وفرحة الانجاز، كما أنه يعني حياة بلا أهداف وحياة بلا ضوابط، وعليه فإن دور الأهل والمحيطين بالطفل ضروري بتأمين مشاعر الإنجاز وفرح، وتحقيق الأهداف مثل حفظ سور من القرآن، أو تعليق رسومات الطفل على الخيمة، أوتقديم أبيات شعر محفوظة أمام الجيران، أو حتى لبس قبعة صوف حاكتها أيدي الطفلة.
ثالثا: الجانب الصحي: سوء التغذية وما يصاحبها من أمراض، عدم القدرة على العلاج، ندرة التطعيمات، وتأثير التلوث أو المواد السامة كلها مسببات تؤثر في صحة الطفل، لكنه في الغالب لا يدركها أو تتأثر بها نفسيته بصورة مباشرة إلا في حال شكوى الأهل منها أمام الطفل. وأفضل طريقة لتخفيف تأثير هذه الأمور في نفسية الطفل هي اجتناب ذكرها قدر الإمكان. أما بالنسبة للطفل الذي يتعرض إلى إصابة تؤذيه بصورة مباشرة إما بجروح أو حروق أو تسبب له إعاقة أو فقدا لأحد أطرافه، سيعيش مع هذه الإصابة بكل ما تسببه له من شعور عدم الرضا بالنفس أو الشعور بالعجز أو الذنب لعدم قدرته على حماية نفسه، كما ستسبب له جروحا وإصابات نفسية تصاحبه مدى الحياة. وعلاجه يكون بتدريبه على التعايش مع إصابته، والتدرج في إقناعه بمدى أهميته للأهل والمجتمع ضمن قدراته المحدودة.
رابعا: الجانب الاقتصادي: وقد ذكر الله في كتابه أن الإنسان يحب المال حبا جما، فهذا فطري حتى مع وجود قناعات بالزهد وأن الغنى غنى النفس. والطفل يعني المال له الرفاهية والسعادة وامتلاك الدنيا، كما تنعكس الحالة الاقتصادية على استقرار الأسرة حيث يضطر المعيل إلى العمل طويلا، أو أن يعمل الوالدان أو حتى أن يعمل الطفل بنفسه لتأمين لقمة العيش له ولأسرته، هذه كلها عوامل مؤثرة قد تحرم الطفل الاستمتاع بطفولة طبيعية، إلا أن دور الأهل وتعاملهم مع المشاكل الاقتصادية يحدد مدى الأثر في نفسيته. فإن وعي الأهل أن الرزق من عند الله، وأن عليهم السعي للحصول عليه - حتى وإن كان قليلا - مع الدعاء، وقراءة السور التي ذكر أنها تحمي من الفقر، فيكون الأثر محدودا ومؤقتا، أما إن زاد السخط أو امتهن الأهل طرق استجداء الناس، فيكون الأثر سيئا وغير محمود.
إذا الحرب في سورية لها أثر مؤكد في نفسية الطفل، لكن وعي الأهل والمجتمع يسهم في تقليص وتحديد وتبديل مسار ذلك الأثر، ومالنا إلا الدعاء بالفرج والنصر والهداية .

تعمير المجتمع بالإيمان

بقلم فداء الدين السيد

كنت قد تعرضت في المقال السابق «تعمير الأرض بالإيمان» لمواضيع الإنتاجية والعمل وعلاقة ذلك بصميم الإيمان والتنبيه من ضرر الاستكانة والسلبية، ثم بدا لي أن هناك جزءا مهما لا ينفصل عن هذا المعنى بل يرتبط به ارتباطا أساسيا وتنبني عليه مترتبات حضارية لا تقوم الأرض «الأمة» إلا بها؛ المجتمع. نعم، فالمجتمع لبنة أساسية يقوم عليها مشروع الأمة الكبير من خلال تصور راق وفاضل لأسس التعامل بالعدل والرحمة والتعارف والترابط في نظام واتساق يسعى فيه الفرد لمصلحة المجموعة بالتعاون مع إخوانه، وتسعى فيه المجموعة لحماية الفرد وتحقيق رفاهيته وتعزيز ذاته من خلال القوانين والنظم والأخلاق التي تحدد حقوقه وواجباته، وترهبه من انتهاك الحرمات، كما أنها تعزز فيه قوة التدين والسلوك الأخلاقي القويم.

ترى ما الذي يضع الإنسان على جادة الأخلاق السليمة الصحيحة التي تحصن المجتمع من التفكك والفوضى؟ هل هي القوانين المجردة؟ أم الفلسفات الأخلاقية المختلفة؟ أم الإيمان؟ والحقيقة التي لا مراء فيها أن اقتناع الإنسان الأخلاقي ليس بظاهري خالص، أي إنه غير متعلق بالسمع والبصر أو الأعصاب والعضلات، بل من خلال تسليم داخلي واقتناع روحاني كامل بالفكرة، وبناء على ذلك فإنه إن كان التزاما ظاهريا فقط، استطاع التنصل من الالتزامات القانونية والواجبات والمسؤوليات فور اطمئنانه إلى إنه غير مراقب من الحكومات والسلطات وأنه سيفلت من طائلة العقوبات.

بل إن أكثر الفلسفات الأخلاقية شهرة والتي استهدفت توجيه الشعوب باتجاه نظريات مختلفة، من مثل «نظرية المنفعة» عند «وليم جيمس»، و«نظرية الواجب» عند «كانت»، و«فلسفة اللذة» التي نادى بها الفيلسوف اليوناني «أرستيب» ومثله «أبيقور»، و«فلسفة القوة» التي هتف بها «نيتشة»، هذه النظريات كلها لم تستطع أن تؤثر في الشعوب إلا بقدر محدود جدا ظل حبيس سجالات الفلسفة ونظريات الأخلاق في الكتب والمدونات.

لم تستطع هذه الفلسفات المنتزعة من الروح والإيمان إقناع عقول الناس ونفوسهم بالثواب نتيجة الصدق والإخلاص و ا لتضحية والبذل والفضائل الأخلاقية كافة، ولم تستطع هذه الفلسفات إقناعهم بجزاء من يمتنع عن التمثل بهذه الأخلاق: الظالم والقاتل والكاذب، ولذلك لم يحل هذه المعضلة سوى الإيمان الذي يعزز هذه القيم بقول الله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره». إن الدين هو أكثر العناصر قدرة - في حياة البشرية - على تقويم المجتمع وتشييد الوازع الداخلي، وليس أدل على ذلك من ثناء القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكثر من أن قال: «وإنك لعلى خلق عظيم»، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الترمذي: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن»، وقد أكد الفيلسوف الألماني «يوهان فيخته» ما أشرنا إليه من أهمية الدين في شأن الأخلاق فقال: «الأخلاق من غير دين عبث»، والقارئ لمشروع الإسلام الحضاري يلحظ اعتناءه بإرساء قواعد الأخلاق وتحديد معالمه وضبط المقاييس الكلية وربطه بمثل عليا تربي في الفرد الضمير الحي، وتحد من أنانيته وسيطرة العادات والتقاليد الضارة وطغيان الغرائز.

> **إننا في حاجة ملحة إلى برامج تربية الأطفال وتهذيب سلوكهم وتقييم أخلاقهم، فهم العمود الفقري لأمل الأمة القادم وبراعم تتفتح على وطن يرسم ملامح جديدة، وعليه فلا بد من غرس هذه البراعم في بيئة طيبة تميز بين الخير والشر، تتشرب الإيمان الدافع إلى العادات الصالحة وطاعة الله وزرع القيم العليا للدين.**

أيها الإخوة والأخوات، استيقظت الشعوب تباعا على أنغام ثورات هزت عروش الظلم والطغيان، وحركت فيها عروشا أخرى شيدت على مكث خلال سنوات طويلة من أجل تطبيع الشعوب على أنماط تدور في فلك المنافع الشخصية، والتي تجري وراء اللذات والشهوات وتقتحم إلى بلوغها كل حرمة، من غير ضمير أو حياء، فانتشرت بين الناس العداوة والبغضاء، وفرق بين الأحبة وحكم الهوى، والهوى يعمي ويصم «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله»؟ وقد شكل هذا تحديا كبيرا أمام دعاة الله وطلبة العلم وأصحاب المشاريع النهضوية والحضارية والعلماء لتغيير هذا الواقع المؤلم الذي كان نتيجة أنظمة دكتاتورية ظالمة، وعلى تواضع ما يقدم في سورية اليوم من جهود مشكورة ومشاريع محمودة فإنها بلا شك تعمل من دون كلل أو ملل من أجل أهداف رفيعة تعيش لها وتموت عليها وهي: التقرب إلى الله تعالى، والتخلق بأخلاقه والسعي لمرضاته من خلال العمل داخل المجتمع السوري للصعود به إلى الأفضل، والسعي المتواصل للخروج من الأزمات الأخلاقية باتجاه الاستقرار الروحي والتربوي، وتعميق دور الإيمان في المجتمع السوري المسلم.

أيها الناشطون والدعاة وحملة النور القرآني إنه لا بد من تعزيز سلطان الإيمان في نفوس الناس، وليس أكثر تأثيرا في عاطفة الأمة ووجدانها من اختلاطكم بالقوم وامتزاجكم بهم والتعرف على ما يشغلهم ويقلق فؤادهم، فتعالجون بالحكمة والحب كآبة سريرتهم، وتكظمون الغيظ وتعفون عمن ظلم وتحلمون على من جهل وتحسنون إلى من أساء وتحسون حلاوة ذلك في صدروكم، إن فعلنا ذلك حقا انتصرنا على غريزة حب الذات والأنانية التي لا يخلو بشر من سلطانها عليه. ثم إننا في حاجة ملحة إلى برامج تربية الأطفال وتهذيب سلوكهم وتقييم أخلاقهم، فهم العمود الفقري لأمل الأمة القادم وبراعم تتفتح على وطن يرسم ملامح جديدة، وعليه فلا بد من غرس هذه البراعم في بيئة طيبة تميز بين الخير والشر، تتشرب الإيمان الدافع إلى العادات الصالحة وطاعة الله وزرع القيم العليا للدين مع فهم ذلك وهضمه وتحويله إلى منهج حياة، فإذا ما اشتد عود هؤلاء الأطفال كانوا مثالا صادقا لأقرانهم ومشاريع حضارية ولبنات متماسكة داخل البناء المجتمعي الواحد، وهذا أيها الإخوة والأخوات يحتاج إلى رسم منهج واضح المعالم ومشاريع جدية تنقل هذه التصورات إلى ميادين العمل من خلال أشخاص وهبوا أنفسهم لله وحده من غير أجر منتظر أو مكافأة مرتقبة، ولكن «رضوان من الله أكبر».

إن بناء المجتمع وتعميره بالإيمان مهمة أبناء الدعوة، وهذه المهمة تحتاج إلى تضحية كبيرة قال فيها الإمام الشهيد «حسن البنا»: «وأريد بالتضحية: بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية، وليس في الدنيا جهاد لا تضحية معه، ولا تضيع في سبيل فكرتنا تضحية، وإنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل، ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»، وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم «والموت في سبيل الله أسمى أمانينا»، انتهى. فإلى العمل معاشر الشباب فالمجتمع السوري اليوم بحاجة ماسة لكم.

رؤية جماعة الإخوان المسلمين لسورية المستقبل

السياسات العسكرية

يعتمد الجيش السوري في سياسته أن يحافظ على عدد كبير من القوات العاملة، وعلى خدمة إلزامية طويلة المدى «سنتان ونصف»، وعلى الرغم من أن حجم النفقات العسكرية بلغ سنويا ٨٠ مليار ليرة سورية «حوالي ١,٦ مليار دولار» أي ما يعادل ٥,٩ ٪ من الناتج القومي، إلا أن فاعلية الجيش السوري بقيت دون المأمول، بعد ما أصابه ما أصاب مؤسسات الدولة من فساد وتغلغل أمني وقهر حزبي وفئوي.

إن اغتصاب «فلسطين» وإقامة الكيان الصهيوني على الحدود الجنوبية لسورية يقتضي أن تعد سورية العدة العسكرية المناسبة لتكون الأمة كلها في حال استعداد دائم، وأن يبقى الجيش السوري نواة القوة العسكرية للأمة على ألا تبقى مسؤولية الدفاع عن البلاد مرهونة به فقط، وإنما بمجموع الأمة.

ولتحقيق ذلك تطرح الجماعة سياساتها العسكرية وفق التصورات الآتية:

١- بناء شخصية الجندي بالإيمان والأخلاق الحميدة.

٢- تطوير قدرة الجيش القتالية وبث الروح الجهادية فيه، وتحديث بنيته العسكرية التي تدنت بعد انهيار المنظومة الاشتراكية، وذلك للقيام بمهامه الرئيسية في حماية السيادة الوطنية وتحرير الأرض المحتلة.

٣- وقف تسييس الجيش واعتباره مؤسسة وطنية تتبع القرار السياسي ولا تتحكم فيه وضرورة إبقائه رمزا للوحدة الوطنية، وإتاحة الحق لكل مواطن بشرف الانتساب إليه من دون تمييز لأية أسباب عقائدية أو سياسية أو فئوية.

٤- اعتماد عقيدة قتالية للجيش تناسب معتقدات الأمة، قادرة على الاستفادة من روح البذل والفداء المتأصلة في الأمة، والشجاعة التي تبعثها عقيدة التوحيد الصادقة في النفوس.

٥- إعادة تنظيم الخدمة الإلزامية والاحتياطية لتخفيف التبعات المادية والبشرية من دون تخفيض القدرة القتالية للجيش، باختصار مدة الخدمة الإلزامية، واستدعاء المجندين دوريا لتحديث تدريبهم العسكري، مما يوفر على الناس وقتهم، وعلى الوطن ثروته، ويجمع المجندون من خلال هذا التنظيم بين متابعة حياتهم العادية، وإعالة أنفسهم وعائلاتهم، وكذلك رفع الجاهزية واستمراريتها لخوض معركة الوطن عند اللزوم.

٦- الحرص على الكفاءات العسكرية، والعناية بالتأهيل العسكري، والمحافظة على الانضباط والتسلسل، ومحاربة الفساد ومنع السخرة والقسوة والمهانة في معاملة المجندين.

٧- إعادة التوازن إلى المؤسسات المدنية والعسكرية والأمنية، حتى لا يبغي بعضها على بعض بما يحفظ حقوق المواطنين من مدنيين وعسكريين، ويجعل سورية دولة مؤسسات تنهي عهد الدولة الأمنية إلى غير رجعة.

٨- اعتماد الجيش الشعبي الرديف، وتعبئة القادرين في وحدات جيش احتياطي توازي أعمالهم المدنية ليكونوا احتياطا فعليا للجيش، ورديفا منظما له، من خلال دورات استدعاء دورية لتحديث المعلومات والانضباط العسكري.

٩- تطوير مؤسسات الأبحاث العسكرية والإستراتيجية ومدها بالخبرات والطاقات العلمية والفكرية. تطوير الصناعة العسكرية وتحديثها بالاستفادة من التطور العالمي المتسارع، ومما توصل إليه التقدم العلمي والتقني العالمي، مع السعي إلى إقامة مشاريع صناعة عسكرية تكاملية بين الدول العربية والإسلامية وصولا إلى عدم التبعية للغير.

١١ - القيام بمشاريع التدريب المشترك بين جيوش دول الطوق وغيرها من دول المساندة، مع إقامة وحدات عسكرية عربية مشتركة تشكل نواة لقوة ردع عربية مسلمة، مشكلة من قوات خاصة عالية التسلح والتدريب، تكون طليعة للدفاع عن أي قطر عربي أو مسلم في حال تعرضه لأي عدوان، وهذا سيعطي لجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي قوة فعلية تشكل خطوة باتجاه الوحدة العربية الإسلامية المنشودة، وتكون معززة لهيبة الأمة، وسدا لذريعة التدخلات الأجنبية.

مشروع اليوم التالي

تصميم النظام الانتخابي للجمعية التأسيسية (2)

السياق العام:

منذ وصول «حزب البعث» إلى السلطة في عام ١٩٦٣ تحولت سورية من ذلك الحين إلى نظام الحزب الواحد، وحكمتها دساتير غير ديمقراطية، تحول البرلمان بموجبها إلى هيئة خاضعة تماما للسلطة التنفيذية. لقد نص الدستور على أن يحصل حزب البعث على غالبية المقاعد البرلمانية، كما نص على أن يتم حجز عدد محدد من المقاعد في البرلمان لفئات اجتماعية معينة، تشمل العمال والفلاحين.

وتم تقييد إنشاء الأحزاب السياسية بصورة كبيرة، وخضعت النشاطات السياسية لرقابة وتنظيم صارمين أديا إلى قمعها. كما تم سحب الجنسية السورية من عدد كبير من السوريين الذين شكت الدولة في ولائهم، بما في ذلك مئات الآلاف من الأكراد، وتم حرمانهم من حق المشاركة السياسية.

ومع تمكن السلطة الشمولية في سورية خلال مدة حكم حافظ الأسد الطويلة تم تقزيم العملية الانتخابية في سورية، وحكمت القواعد التي حددها الدستور مجمل الفعل السياسي في البلاد. وإلى عام ٢٠١١ الذي شهد اندلاع الثورة السورية، مارس قادة البلاد سلطة شبه مطلقة على المجتمع والاقتصاد السوريين، حيث لم يكن للانتخابات تأثير حقيقي على توزيع السلطة السياسية. أما البرلمان، فقد كان في وضع احتضار كامل، ولم يتمكن من لعب أي دور حقيقي في وضع السياسيات، كما أن دوره الرقابي على السلطة التنفيذية وصرف الموازنة وعمل القوات المسلحة والأجهزة الأمنية كان معطلا تماما.

وضمن إطار هذا النظام الشمولي، تم منح سلطات اعتباطية لكبار المسؤولين، حيث لم يخضع أي منهم للتدقيق والتوازن اللذين توفرهما رقابة السلطة التشريعية. كما لم يكن هنالك أي وجود للمساءلة العامة، وسادت ثقافة الحصانة، التي مهدت للكثير من ممارسات إساءة استخدام السلطة. من جهة أخرى، تمت التضحية بالمصالح العامة وموارد الدولة لصالح القطاع الخاص ورجال الأعمال المتنفذين، ولم يكن لدى المواطنين أية فرصة للمشاركة السياسية، ومنعوا من حق التنظيم السياسي. أما حرية التعبير السياسي فقد تعرضت للقمع، وتعرض المواطنون الذين تجرؤوا على الحديث في الأمور العامة لعقوبات قاسية، بما في ذلك السجن والتعذيب، بل الإعدام في بعض الحالات. كما تم حظر المشاركة السياسية والأدوار القيادية عن مكونات كثيرة من المجتمع السوري، بناء على انتماءاتهم الإثنية أو الطائفية أو الدينية أو هويتهم الجنسية.

أهم المخاطر والتحديات:

التحدي ١. ضعف أو غياب البنية التحتية الانتخابية:

تفتقد سورية البنية التحتية القانونية والإجرائية اللازمة لإجراء الانتخابات الديمقراطية ومراقبتها، ومع أن القانون الانتخابي الحالي يشتمل على عناصر يمكن الاستفادة منها في وضع النظام الانتخابي الجديد، إلا أنه من الضروري إجراء مراجعة شاملة ومعمقة على هذا القانون، ويجب أن يشتمل ذلك على وضع قانون جديد للأحزاب السياسية، وتأسيس هيئات رقابية مناسبة للرقابة على الانتخابات، ووضع تشريعات جديدة تضمن استقلالية الهيئات والعمليات الانتخابية.

التحدي ٢. غياب الأحزاب السياسية:

فيما عدا حزب البعث الذي يقوم بشراء الولاء السياسي بمقابل الفرص الاقتصادية والمهنية والاجتماعية، لا تتمتع سورية بخبرة سياسية جيدة في تأسيس وبناء الأحزاب السياسية.

لذلك من الضروري تخصيص موارد كافية وخبرات مناسبة لدعم تأسيس أحزاب سياسية جديدة، ولبناء القدرات في الأحزاب الحالية «باستثناء حزب البعث، الذي سيتم تحديد مصيره خلال المرحلة الانتقالية».

التحدي ٣. التوقعات الكبيرة للجمهور:

أتاح وصول وسائل الإعلام العالمية إلى الجمهور السوري في السنوات الأخيرة اطلاع هذا الجمهور على معنى العمليات الانتخابية، وكما هو الحال في الدول الأخرى التي تعيش مرحلة ما بعد الحكم الشمولي، يتطلع السوريون إلى الانتخابات الديمقراطية بوصفها وسيلة أساسية للوصول إلى هيئات حكومية وقرارات تتمتع بالشرعية، ونتيجة لذلك، يمكن أن نتوقع أن تكون المطالب الشعبية بإجراء الانتخابات في أسرع وقت ممكن كبيرة جدا في أثناء الانتقال إلى سورية ما بعد الأسد.

التحدي ٤. تاريخ من الإقصاء والتهميش:

عاشت سورية تاريخا طويلا من الإقصاء والتهميش الذي عانت منه المكونات الاجتماعية التي لم يكن النظام راضيا عنها، سواء أكانت أقلية أم أكثرية. لقد حرم الناس من المشاركة والقيادة، بل من الجنسية أيضا، وكل ذلك على أساس إثني أو طائفي أو ديني أو وفقا للهوية الجنسية أو السياسية.

يجعل هذا من الأساسي أن يضمن الانتقال إلى الديمقراطية إزالة آثار هذه الممارسات غير العادلة، بالإضافة إلى حماية الأقليات -التي تمتعت بالمزايا سابقا- من الإقصاء والقمع في النظام السياسي الجديد. ستضمن آليات بناء النظام الانتخابي والدستوري الجديد التي تتمتع بالشمول أن تنهض سورية مجددا، دولة تتميز بالعدالة والديمقراطية.

آفاق تاريخية

الإخـوان المسـلمون فـي سـورية - المرحلـة الثانيـة "التربيـة والتكويـن"

إعداد زاهر فخري

ملخص الحلقة السـابقة :

لقـد تكلمنا في الحلقات السابقة عن الإخوان المسلمين فـي سـورية منذ التأسيس، وتكلمنـا في الحلقـة الأخيرة عـن المرحلـة الثانيـة وهي مرحلـة التكويـن، وهي تهدف إلـى توجيـه الشـباب وتربيتهـم وتكوينهـم وإعدادهـم وتعليمهـم أحـكام دينهـم، وترغيبهـم فـي الحـلال والمباحـات، وترهيبهـم مـن الحرام والمحظـورات، بطرق وأساليب ووسـائل متعـددة كان مـن أهمهـا «الأسـرة والكتيبـة وأحاديـث الجمعـة والكتـاب الإسـلامي».

الاحتفـالات الكـبرى :

دأبـت الجماعـة علـى إحيـاء عـدد مـن المناسـبات الدينية والتاريخيـة، لا علـى أنهـا فـرض أو سـنة أو منـدوب، بـل للتذكيـر بمبـادئ الإسـلام، وأمجـاد المسـلمين، بوصفهـا وسـيلة مـن وسـائل الدعـوة ونشـرها بيـن المواطنيـن، وكان مـن أشـهر هـذه المناسـبات: رأس السـنة الهجريـة، ومعركـة بـدر، وحادثـة الإسـراء والمعـراج، ومولـد فخـر الكائنـات محمـد بـن عبـد اللّه صلـى اللّه عليـه وسـلم، إذ كانـت إدارات المركـز والفـروع فـي المحافظـات جميعهـا توجـه الدعـوة إلـى المواطنيـن جميعهـم للاجتمـاع فـي أوسـع المسـاجد مسـاحة، فيلقـي أحـد الدعـاة خطابـا جامعـا يلامـس بـه قلـوب الحاضريـن، ويخاطـب عقولهـم، ويحـرك هممهـم، ويذكرهـم أمجـاد أمتهـم وتاريخهـا التليـد، وكان مـن أشـهر الدعـاة وأعظـم الخطبـاء فـي عصـره الشـيخ «مصطفـى السـباعي» الـذي أوتـي قـدرة بيانيـة عجيبـة، وموهبـة خطابيـة فريـدة، ويسـتطيع بهمـا أن يحـرك ويعبـئ آلاف المواطنيـن، ويسـتنهض هممهـم، بـل إن قادهـم إلـى معركـة لأجابـوه، رحمـه اللّه وأعلـى مقامـه، وأجـزل لـه ولإخوانـه الدعـاة الأجـر والمثوبـة. هكـذا اسـتطاعت الجماعـة بمناهجهـا التربويـة وبرامجهـا التوجيهيـة المبدعـة بوسـائل متعـددة ومتنوعـة، مـن مثـل الأسـرة والكتيبـة ومنبـر الجمعـة ونشـر الكتـاب الإسـلامي، وإنشـاء المكتبـات، وإحيـاء المناسـبات الدينيـة والتاريخيـة والوطنيـة أن تكسـر موجـات التغريـب والإلحـاد والانحـلال، والأفـكار المناهضـة لرسـالة الإسـلام، وأن توقـف زحفهـا، فإذا بالعلمانييـن ومـن لـف لفهـم يوقفـون هجومهـم، ويعدلـون مـن لهجتهـم، بـل صـار بعضهـم أو معظمهـم يجامـل ويداهـن، ويتملـق جماهيـر الشـعب المؤمـن، ولاسـيما فـي أيـام الانتخابـات، وعنـد الترشـيح إلـى عضويـة المجالـس النيابيـة، وكـي تكـون الصـورة واضحـة جليـة للأجيـال التـي لـم تشـهد تلـك الحقـب أو العقـود مـن القـرن الماضـي، بيـن مـا كان عليـه النشـء فـي الثلاثينيـات وإلـى منتصـف الأربعينيـات، ومـا صاروا إليـه فـي نهايـة عقـد الأربعينيـات، ومـا أعقبـه مـن عقـود، مـن تحـول كبيـر فـي الأفـكار والتصـورات، بـل وفـي المعتقـدات. هكـذا كانـت الحـال فـي منتصـف عقـد الأربعينيـات مـن القـرن العشـرين، ولـم تمـض علـى هـذه الصـورة القاتمـة مـدة وجيـزة لا تتجـاوز العامييـن حتـى ظهـرت بـوادر نهضـة إسـلامية تجلـت بواكيرهـا فـي انتخابـات ١٩٤٧، التـي كشـفت عـن بـروز تكتـل إسـلامي ضـم العلمـاء والإخـوان وذوي العواطـف والتوجهـات الإسـلامية فـي المـدن الرئيسـة السـورية «دمشـق» و«حمـاة» و«حمـص» و«حلـب» حيـن ترشـح للانتخابـات النيابيـة فـي كل مدينـة مـن خـاص الانتخابـات بتوجيـه مـن المرشـد «حسـن البنـا»، ولـم يكـن العقـد الأربعينـي يشـرف علـى نهايتـه، وبالتحديـد عـام ١٩٤٩، وفـي ظـل الانتخابـات للهيئـة التأسيسـية بعـد انهيـار حكـم «حسـني الزعيـم»، حتـى كان التيـار الإسـلامي يفـرض وجـوده فـي عاصمـة الأمـويين التـي أعطـت الـولاء كامـلا لمرشـحي الإخـوان وحلفائهـم، وانتخبـت قائمتهـم بنجـاح سـاحق وأصـوات بـزت المرشـحين جميعهـم مـن أحـزاب اليميـن واليسـار علـى حـد سـواء. هكـذا ظهـر جيـل مـن الدعـاة، مـن أعضـاء الجماعـة، ومـن المناصريـن للدعـوة الإسـلامية؛ جيـل مؤمـن باللّه، متحـل بالأخـلاق، معتـز بالتـراث العربـي والإسـلامي، جيـل يعتقـد أن الإسـلام ديـن ودولـة، وتشـريع وقانـون، وأنـه صالـح لـكل زمـان ومـكان، وأن شـريعته بمـا أوتيـت مـن شـمول ومرونـة قـادرة علـى تنظيـم شـؤون الفـرد والجماعـة والدولـة، وعلـى هضـم الأمـور الحياتيـة المسـتجدة والمسـتحدثة، وأنهـا -أي شـريعة الإسـلام الربانيـة- تحـق الحـق، وتبطـل الباطـل، وتنشـر مبـادئ العـدل والمسـاواة لـكل الناس سـواء أكانـوا مسـلمين أم غيـر مسـلمين، وأنهـا تصـون الحريـات بنصـوص قطعيـة وليـس باجتهـادات سياسـية تتغيـر وتتبـدل بحسـب الظـروف والمصالـح والأهـواء، وأن أحـكام الشـريعة تكفـل للنـاس، ولكل فـرد منهـم، أيـا كان معتقـده وانتمـاؤه، الحريـة فـي الديـن، وفـي الحيـاة الشـخصية والعيـش الكريـم، وفـي الكرامـة الإنسـانية، كمـا كانـت الحـال فـي ظـل ازدهـار الدولـة الإسـلامية علـى مـدى أربعـة عشـر قرنـا. لقـد ظهـر الجيـل الـذي يفتـدي الإسـلام بروحـه ودمـه وأبنائـه، ويتطلـع إلـى نيـل الشـهادة فـي سـبيل اللّه، دفاعـا عـن عقيدتـه وأمتـه ووطنـه، ولقـد ظهـر ذلـك جليـا فـي حـرب «فلسـطين» والاستشـهاد فـي سـاحة قدسـها، وعلـى رباهـا وبطاحهـا. انتشـرت مبـادئ الجماعـة، وعـم تنظيمهـا فـي المجتمـع، وفـي الأوسـاط والفئـات كلهـا، ولاسـيما فـي صفـوف المتعلميـن والمثقفيـن والطـلاب، وصـارت قوائمهـم فـي الانتخابـات الطلابيـة فـي الثانويـات والكليـات تتقـدم علـى غيرهـا، وكـذا فـي نقابـات المعلميـن والمهندسـين والأطبـاء والنقابـات العلميـة الأخـرى، ولـم يعـد يوجـد مـن يتسـاءل عـن المتعلميـن والمثقفيـن فـي صفـوف الجماعـة، بـل صـار أعضـاء الجماعـة يتلـون بـكل ثقـة ويقيـن قولـه سـبحانه: «هـو الـذي أرسـل رسـوله بالهـدى ودين الحـق ليظهـره علـى الديـن كلـه وكفـى بـاللّه شـهيدا». أمـا دعـاة التغريـب والالتحـاق بالغـرب فقـد تلاشـت أحزابهـم، فاختفـى بعضهـا مـن حيـاة الأمـة، وضعـف بعضهـا فلـم يبـق منـه إلا الرسـوم والأطـلال: «وقدمنـا إلـى مـا عملوا من عمـل فجعلناه هباء منثـورا». هذه هي محصلـة جهـود الإخـوان وجهادهـم في بضع سـنين دأبا، وجهـود جهابـذة العلمـاء فـي تلـك المرحلـة فـي سـورية، مـن أمثـال الشـيخ «محمـد النبهانـي» في حلب، والشـيخ «محمـد الحامـد» فـي حماة، والشـيخ «عبد العزيـز عيون السـود» فـي حمـص، والشـيخ «أبـو الخيـر الميدانـي» و«سـيد الكتانـي» و«حسـن حبنكـة» و«عبـد الكريـم الرفاعـي» وغيرهـم فـي دمشـق، و«حسـين رمضـان» وولـده «عبـد الـرزاق» فـي ديـر الـزور، والأسـتاذ «محمـد المجـذوب» والشـيخ «عبـد السـتار عيـروط» في السـاحل السـوري وغيرهـم كثيـر، قامـوا بجهـود يصعـب حصرهـا، نسـأل اللّه سـبحانه أن يجـزل لهـم الأجـر والمثوبـة. هكـذا أثمـرت جهـود العامليـن والدعـاة مـن الإخـوان والعلمـاء وأنصارهـم تيـارا إسـلاميا عارمـا اتسـعت دائرتـه حتـى شـملت بـلاد الشـام، وعـم الفئـات والشـرائح الاجتماعيـة والثقافيـة جميعهـا، وبلـغ أعمـال المجتمـع فـي المـدن والأريـاف والبـوادي، فتيقـظ الأعـداء فـي الداخـل والخـارج، وشـرعوا فـي رصـد هـذا التحـرك الإسـلامي الواسـع، ووضـع الخطـط للحـد مـن انتشـاره، والكيـد لـه، والتهجـم عليـه، سياسـيا وفكريـا وإعلاميـا، وعندمـا زار الأسـتاذ الهضيبـي سـورية فـي عـام ١٩٥٤م، وحظـي باسـتقبالات فـي المـدن السـورية جميعهـا، لفتـت أنظـار المراقبيـن والمتربصيـن، وكنـت ممـن كلفـه إخوانـه بتنظيـم اسـتقبال المرشـد الهضيبـي رحمـه اللّه فـي مدينـة حمـاة، وكان ممـن جـاء لمركـز الإخـوان لتحيتـه والسـلام عليـه مطـران المدينـة ومرافقـوه ضمـن الوفـود مـن وجهـاء المدينـة، وبمناسـبة هـذه الزيـارة كتـب الأسـتاذ «محمـود ريـاض» سـفير «مصـر» فـي دمشـق إلـى «جمـال عبـد الناصـر» تعقيبـا علـى زيـارة الهضيبـي إلـى سـورية: إذا اسـتمر صعـود الإخـوان المسـلمين كمـا هـو الآن، فسـوف يسـتلمون الحكـم فـي سـورية بعـد خمـس سـنين.

كتاب عدنان سعد الدين
مذكرات وذكريات

> هكذا أثمرت جهود العاملين والدعاة من الإخوان والعلماء وأنصارهم تيارا إسلاميا عارما اتسعت دائرته حتى شملت بلاد الشام، وعم الفئات والشرائح الاجتماعية والثقافية جميعها، وبلغ أعمال المجتمع في المدن والأرياف والبوادي، فتيقظ الأعداء في الداخل والخارج، وشرعوا في رصد هذا التحرك الإسلامي الواسع، ووضع الخطط للحد من انتشاره، والكيد له، والتهجم عليه، سياسيا وفكريا وإعلاميا.

فقه الثورة

رابطـــة علمـــاء الشـام

إعداد عائشة فخري

سـؤال:

مـا حكـم أخـذ مـال العوايـنـي «الجاسـوس»؟

نص الجواب:

نـص الفقهـاء علـى أنـه لا يجوز الاسـتيلاء على أموال الجاسـوس المسـلم لأنهـا أمـوال معصومة، قـال رسـول اللّه: «لا يحـل مـال امـرئ مسـلم إلا بطيـب نفـس منه»، فتجسسـه علينا لا يبيح أخذ أمواله، فـإن قتل تعزيـرا فأمواله لورثتـه، أمـا غير المسـلم فيجوز أخذها على أنها غنيمة للمسـلمين كونـه نقـض العهـد الـذي بينـنا وبينـه.

جنود الدعوة.. الأديب محمد الحسناوي

إعداد زينب أبو طوق

الأديـب «محمـد الحسـناوي» مـن مواليـد عـام ١٩٣٨، ابـن العاصـي مـن مدينـة «جسـر الشـغور»، عـده بعضهـم علمـا مـن أعلامهـا، نشـأ فـي أسـرة متواضعـة.

أتـم دراسـته الإعداديـة فـي «اللاذقيـة» واختلـط بالإخـوان وتأثـر بدعوتهـم، ثـم انتقـل إلـى «دمشـق» للدراسـة الثانويـة لينجـح فـي مسـابقة دار المعلميـن، ويلتحـق بكليـة الآداب بجامعـة دمشـق لينـال إجـازة فـي اللغـة العربيـة عـام ١٩٦١م، ثـم دبلومـا فـي التربيـة العامـة عـام ١٩٦٢. وقـد درس اللغـة العربيـة طـوال ١٨ عامـا فـي محافظـة حلـب، حصـل خلالهـا علـى درجـة الماجسـتير فـي الأدب العربـي علـى رسـالته «الفاصلـة فـي القرآن» من كليـة الآداب بالجامعـة اللبنانيـة عـام ١٩٧٢.

وفـي دمشـق شـارك بتظاهـرات للتنديـد بالعـدوان الثلاثـي علـى «مصـر»، فـكان محمـولا علـى الأكتـاف يهتـف منـددا بحلـف بغـداد، فعـرف فـي شـبابه الحماسـة والمبادرة، واختـار دعـوة الإخـوان المسـلمين بوصفهـا حركـة إسـلامية وانخـرط فـي صفوفهـا، وكان انضمامـه مـن خـلال صديقـه الشـهيد «إبراهيـم عاصـي».

التقـى بالدكتـور «مصطفـى السـباعي» رحمـه اللّه وتأثـر بـه تأثـرا بالغـا، وكان أن أسـند إليـه السـباعي دورا فـي «مجلـة حضـارة الإسـلام» التـي عرفـت عـام ١٩٥٨، فكتـب وحـرر فيهـا حتـى صـار مديـرا للتحريـر فيهـا لعـام ١٩٦١.

لازم هـم العمـل الإعلامـي والدعـوي، وصـارع النظـام المجـرم فـي سـورية حتـى ألجأتـه الظـروف إلـى مغادرتهـا مرغمـا ليكمـل سـعيه مـن غربتـه، كان شـغوفا بـالأدب والمطالعـة، ومكتبتـه عامـرة بالكتـب التـي بـذل لأجلهـا سـاعات مـن البحـث بيـن المكتبـات وأنفـق عليهـا ثـروة واختـار كتبهـا بعنايـة، قبـل أن يصادرهـا النظـام ويحرقهـا، عـدا عـن بيتـه الـذي احتلـه رجـال مـن الأمـن وصـادروه فـكان يذكـر كتبـه أكثـر مـن ذكـره لبيتـه.

حصـل علـى كثيـر مـن الجوائـز الأدبيـة وكتـب فـي كثيـر مـن المجـلات الرائـدة، وكان عضـوا فـي عـدد من الروابـط الأدبيـة، نذكـر منهـا «رابطـة الأدب الإسـلامي العالميـة»، و«رابطـة أدبـاء الشـام».

تميـز نتاجـه بصبغـة إسـلامية معاصـرة، فألـف كتابـا «فـي الأدب والحضـارة» وآخـر «فـي الأدب والأدب الإسـلامي»، إضافـة إلـى كتـاب سـماه «دراسـة جماليـة بيانيـة فـي أربـع سـور: الإسـراء والكهـف ومريـم وطـه».

عـرف عـن الحسـناوي الجـرأة مـع الطاعـة، وحسـن انضبـاط والتـزام إذا أسـند إليـه أمـر، غزيـر العطـاء، يقـدم الأولويـة فـي عملـه علـى كثيـر مـن أمـور أهلـه ووقتهـم.

مـر الحسـناوي كمـا مـر إخوانـه علـى معتقـلات النظـام المجـرم، وعـاش حيـاة المطـاردة والتخفـي زمنـا، وفقـد مـن أحبابـه وإخوانـه كثيـرا، وقـد وثـق ذكريـات تلـك الأيـام فـي روايـة أسـماها «خطـوات فـي الليـل».

كان رحمـه اللّه دائـم الحمـد والشـكر، مواظبـا علـى أذكاره، وكان رحمـه اللّه كلمـا وجـد فسـحة مـن الوقـت بعيـدا عـن مشـاغله، فـزع إلـى كتبـه وأوراقـه، وبـدأ بالكتابـة، ووضـع الملاحظـات، وكان رقيـق الإحسـاس سـريع الدمـع، متفاعـلا مـع همـوم المسـلمين فـي كل مـكان، فكتـب مقـالات وأشـعارا لـ «فلسـطين، والعـراق، ولبنـان، وأفغانسـتان، والبوسـنة» وغيرهـا.

توفـي رحمـه اللّه يـوم الأحـد ١٤آذار٢٠٠٧م، ودفـن فـي «الأردن» بعـد إقامـة متنقلـة بينهـا وبيـن «العـراق»، كمـا تـرك دواويـن شـعرية عـدة منهـا: «فـي غيابـة الجـب» و«عـودة الغائـب» و«ربيـع الوحـدة» و«ملحمـة النـور»، إضافـة إلـى مجموعـات قصصيـة منهـا: «الحلبـة والمرآة» و«بيـن القصـر والقلعـة» و«بـلاد النوابـع».

تربية وتهذيب

التواضع العجيب (انزع القناع عن وجهك ثم أجب: هل أنت متواضع؟)

بقلم محمد عادل فارس

قد يخدع الإنسـان نفسـه بحقيقة نفسـه وهو لا يشـعر؛ هذا الخداع الذي يدخل فـي باب «الحيل النفسـية» التي يهرب بها الإنسـان من واقع دوافعه وخبايا نفسـه، مـن حيث لا يدري.

ولكن إذا كان يفعل ذلك وهو لا يشعر ولا يدري، فهل هو مسؤول عن هذا الخداع؟ وهل من طريقة ليكتشف حقيقة هذا الخداع؟

يعجز كثير من الناس عن مصارحة نفسه، واكتشاف ذاته، والاعتراف – من ثم – بأنه مخطئ أو آثم، لاسيما في الأمور الباطنة، من مثل النوايا والدوافع. الأصل في الإنسان أن تكون مواقفه العملية، وسلوكه، وأقواله، مترجمة عن عقيدته وفكره وتصوراته. فمن آمن باليوم الآخر ظهر ذلك في واقع حياته: حرصاً على ما يؤدي به إلى الجنة، وبعداً عما يؤدي به إلى النار. ومَن علِم أن بعض الجراثيم تسبب الأمراض حرص على النظافة. وهكذا. فإذا ادّعى إنسان صفة معينة أو خُلقاً أو معرفة، ثم ظهر من تصرفاته ما يخالف دعواه، كان ذلك أمارة على تناقض يحتاج إلى حلّ.

وأول ما يتبادر إلى الذهن في حل هذا التناقض أن يقال: إنه كاذب في ادّعائه، يريد أن يروّج بضاعته على الناس، ويخدعهم عن حقيقة حاله. وهذا ما ينطبق فعلاً على بعض الناس. لكن هؤلاء الذين تنطبق عليهم انطباقاً ظاهراً تقوم أعمالهم شاهدة على كذبهم، بحيث لا ينخدع بهم إلا البعيد عنهم، أو الساذج. فالزعيم السياسي الذي يتمسح بالإسلام في بعض المواقف، ثم تراه يضطهد المسلمين ودعاة الإسلام، ويُقصي الإسلام عن الحياة... لا يكاد ينخدع به عاقل لبيب، والتاجر الذي يحدثك عن الأمانة والاستقامة... ثم تراه يمارس الغش والتدليس وأكل أموال الناس بالباطل، سرعان ما ينكشف أمره بين الناس، فضلاً عن انكشاف أمره أمام نفسه.

لكنّ الأمر لا يكون دائماً بهذه البساطة، بل يدخل أحياناً، طوراً خطيراً في التعقيد، ويصعب فهمه على غير المتعمقين أو المختصين، أو أصحاب الخبرة في تتبع مسارب الأهواء والدوافع في النفوس.

وهنـا نقف عنـد الظاهرة التي أسـميناها تواضعاً عجيبـاً، لنرى كيف يلبّـس الشـيطان علـى بعـض النـاس فيُضِلّهـم ويَحرِفهم عن سَـنَنِ الحق، ويحسـبون أنهم مهتدون.

كثير ممن نعرف منهم الصلاح والعلم والتقى، نرى منهم التواضع الجمّ، وهضمَ النفس، ووصْفها بالدون من الصفات. فقد تصف أحدَهم بما تعرفه عنه من فضائل، فيقول لك: «لا تنخدع بي يا أخي، فأنا العبد الفقير الضعيف المذنب، غفر اللّه لي، ولولا أن اللّه تعالى يسترني بستره الجميل لانكشف عُواري للناس، ولما اكترث بي أحد...».

فإذا اكتشفتَ، بالفعل، خطأ في رأي أو تصرف، صَدَرَ من هذا الفاضل الصالح، وواجهتَه به، وأردتَ نُصحَه وتسديدَه، رأيته ينتفض منتصراً لنفسه، منافِحاً عن خطئه... وقد يتجاوز المعتادَ من الانتصار للنفس، وينتقل إلى مهاجمتك، ووصفك بالجهل والتحامل، وأنك لا تقدر الرجال حق قدرها... ثم يحقد عليك حقداً لا يكاد يرضَى بعده، إلا إذا عرفت كيف تتملّقُه من جديد، وتتعهده بالتبجيل، وتُشعره بفوقيته على مَن حوله من الناس!.

ومثل هذا مَن يُطلِق النكات عن نفسه بما يصفها بصفات الدون والمهانة... لكنه ينتفض كل الانتفاض، ويغضب كل الغضب لو تجرّأ أحد فوجّه إليه نقداً ما، بجدّ أو هزل!.

هل كان إذاً يكذب حينما يُظهر تواضعَه العجيب؟! ليس من الحكمة أن تسارع فتقولَ: نعم، أو تقول: لا.

مِثل هذا الرجل يَعلَم من الإسلام أن الغرور والعجب والكِبر آفاتٌ قاتلة. وهو لا يرضى لنفسه واحدة من هذه الصفات الذميمة، بل يحرص على تحاشيها بينه وبين نفسه، فضلاً عن حرصه هذا بينه وبين المسلمين الذين يحتقرون المغرور المتكبر، لكنه في قرارة نفسه يرى أنه متميز من كل الناس: إنه أفضل منهم في كل شيء، علماً ومعرفة، وثقافة وخُلقاً، وذكاءً ورأياً، وفصاحة وتدبيراً، وتُقى وورعاً... بل لعله يعتقد أنه أقواهم بِنْيةً، وأوسمهم طلعة، وأجملهم ثوباً، وآنقهم هنداماً، وأهيبهم سمْتاً... وصورته هذه عن نفسه، التي انغرست في أعماقه، لا يرضى أن يصارح بها نفسَه، لأنها مرفوضة عنده، مرفوضة في وعيه الذي يؤكد له قبح العجب والكِبر والغرور، ويحبب إليه التواضع وهضم الذات. فهو يُقنع نفسه، في الظاهر، ويقنع غيره كذلك، أنه الضعيف العاجز المذنب... ولعله بهذا الإقناع يرفع من نفسه أمام نفسه وأمام مَن يَعُدُّون التواضع قيمةً عليا، لكنه ما يكاد يُستثار مرة حتى يتحرك ما في أعماقه، وينتصر لنفسه هذا الانتصار البشع.

لقد ظهرت حقيقة هذا الإنسان من خلال تصرفاته القولية، إثْر بعض الاستثارات. وقد تظهر من خلال بعض تصرفات عملية، كأنْ يُعرَض عليه أن يقوم ببعض المهمات، فيُظهر ضعفه وضآلة إمكاناته، ويجعل ذلك عذراً له عن قيامه بها.. ثم نراه لا يفتأ يخرّب ويشكك ويغمز بكل من يندب نفسه للقيام بمثل هذه المهمات، ونرى أعماله تترجم عن ازدرائه لهم، واستعلائه عليهم.

مرةً قال أحد الأصدقاء لبعض من يظهر عليه هذا النوع من «التواضع»: هل تذكر أنه وقع منك خطأ مرةً واحدة في حياتك؟! وتعجّب الرجل من السؤال، وارتاب من مراد السائل، لكن السائل لم يدعْه في حيرته، بل أردف يقول: إنك تدعي لنفسك التواضع وهضم النفس والقصورَ عن معارج الفضل في العلم أو التقى، ولكنك في واقع الأمر تُقَوِّمُ نفسك أنك فوق رفقائك وإخوانك، وتنظر إلى من حولك نظرة استعلاء عليهم وتكبر.

إن تصرفات مثل هذا الرجل تُذَرْجِم مرة عن صورة نفسه التي يرسمها لنفسه برضاه وشعوره وإرادته، فيَظْهَرُ منه التواضع، لا سيما أمام من يمتدحه ويعظّمه، وتُذَرْجِم مرةً عن صورة نفسه التي ترسّخت في أعماق نفسه نتيجة تجاربه في طفولته أو صباه أو كهولته، فتظهر في انتصاره لنفسه إذا أهين شخصُه، أو إذا جوبِه بخطأ له في رأي أو سلوك، أو في معصية شرعية، أو إذا لم يراعَ جنابُه في بعض المحافل والمجالس ونحوها. إنه بحاجة إلى أن يكشف نفسَه لنفسِه، فيكون صادقاً مع نفسه، فهذا بداية العلاج، بل إنه الخطوة العظمى في طريق العلاج.

ويزداد الأمر خطورة إذا كان هذا الرجل يغضب لنفسه حين يُنتَقَص حقّه وحين لا يلقى التعظيم والتكريم.. ولا يغضبُ مثلَ هذا الغضب إذا انتُهكت حرمات اللّه!.

وقد قيل: لا يغرّنّك من يتواضع بلسانه، وبانحناء ظهره، وانخفاض رأسه، فقد يكون من أشد الناس كِبراً وغروراً. جرّبْه إذا شئت بالمساس قليلاً بكبريائه ينكشف لك أمره في الحال.

وليضعْ كل منا ميزاناً يتبين فيه إذا كان متواضعاً حقاً أو متكبراً. فالرسول صلى اللّه عليه وسلم يقول – في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم -: «الكِبْرُ بَطَر الحق وغَمْطُ الناس» فإذا عرف أحدنا من نفسه أنه لا ينقاد إلى الحق بسهولة، بل قد يرفض الإذعان للحق، وأنه ينظر إلى الناس الذين ينقصون عنه في الغنى والدرجة الاجتماعية، نظرة ازدراء، فليعلمْ أن فيه كِبراً، وإن كان يُظهر التواضع في مواقف كثيرة.

***

هذا الذي ذكرناه عن خُلُق التواضع، بين الصورة الظاهرة والحقيقة الباطنة، نجد لها نظائر في أخلاق أخرى كالإخلاص والزهد بالمال والمنصب والشهرة، وحبِّ الخير للآخَرين، والتسامح والعفو والإيثار.

وإننا بهذا لا نحكم على فرد معين، كما أننا لا نَعُدُّ حكمنا على أي تصرف حكماً نهائياً، فالنفوس البشرية معقّدة الخيوط، متشابكة الخطوط. وإصدار الأحكام العامة المستعجلة لا يخلو من مجازفة قد تكون كبيرة. إنما نذكر ما نذكر ليكون كالمرآة ينظر فيها كل منا ليتعرف على ملامحه العميقة وراء الأقنعة التي يحاول أن يوارِيَ بها عيوبه. إنها الحاجة إلى المصارحة مع الذات (بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره)

معتقلو الثورة

حلـم فـي ظـلام المعتقـل

إعداد رشا علوان

«أن أرى لـون السـماء الأزرق، هـذا كان حلمـي فـي ظـلام المعتقـل»، «أحمـد» مـن أبنـاء «الشـاغور» يـروي قصـة اعتقاله: «قبـل الثـورة كنـت أعمل سائقا بالسفارة الصينيـة فـي دمشـق، وبحوالي الشـهر التاسـع مـن السـنة ٢٠٠٩ تـم سـحبي للخدمـة العسـكرية الإلزاميـة فـي حمـص، وتـم فـرزي بشـرطة النجدة بفـرع حمـص ثـم قيـادة الشـرطة، وتـم تعينـي مرافقـا لقائـد الشـرطة آنـذاك، ثـم تـم نقلـي إلـى الأمـن المركـزي خـلال مـدة الملاحقـات الأمنيـة التـي قـام بهـا الأمـن للمطلوبيـن علـى لوائحهـا، فكانـت المطـاردات وحشـية بـكل مـا تعنـي الكلمـة مـن معنـى».

فـي ٢٠١١ ومـع انـدلاع الثـورة فـي «حمـص» وخـروج أول تظاهـرة مـن جامع خالـد بـن الوليـد وسـوق الحشـيش، تـم توزيـع هـراوات ومدافـع للغـاز وعصـى كهربائيـة لعناصـر المركـز كلهـم لقمـع التظاهـرة مـع أوامـر كاملـة بحريـة التصـرف مـع المتظاهريـن بـكل قسـوة لوقـف التظاهـر والحـراك السـلمي للثورة، مـع العلـم بأنـه مـع أول تظاهـرة فـي حمـص تـم إنـزال عناصـر مـن الفرقـة الرابعـة بلباسـهم المدنـي ضمـن صفـوف المتظاهريـن لقمـع التظاهـرة بطريقـة وحشـية، واللافـت للنظـر مـدى معرفتهـم ببعضهـم وبقـادة مكافحـة الشـغب. كان منظرهـم رهيبـا؛ كل ٤ أو ٥ عناصـر مـن الفرقـة الرابعـة متجمعيـن حـول أحـد المتظاهريـن يضربونـه بوحشـية ويصعقونـه بالكهربـاء، ثـم تـم تجميـع المتظاهريـن فـي سـيارات وأخذهـم إلـى الأفـرع الأمنيـة لتأتـي الأوامـر مـن القيـادة: أي شـخص عنصـرا كان أو متظاهـرا يحمـل جهـاز موبايـل بيـده ويصـور مـا يحـدث يقتـل مباشـرة بصـورة نهائيـة، ومـن تلـك الأيـام بـدأت التفكيـر بطريقـة للهـرب مـن الجيـش والالتحـاق بصفـوف الثـورة.

تمكنـت فـي أحـد الأيـام مـن نيـل إجـازة لزيـارة أسـرتي فـي «زملكـا» فكانـت التظاهـرات تنطلـق فـي الريـف الدمشـقي وزملكـا تحديـدا، ولمعرفتـي بسـلمية الثـورة والتظاهـرات قمـت بالمشـاركة فـي إحداهـا لأول مـرة فـي أواخـر شـهر نيسـان مـن عـام ٢٠١١؛ كانـت التظاهـرة ضخمـة جـدا، واسـتطعنا الوصـول قريبـا مـن سـاحة العباسـيين باتجـاه «الزبلطانـي»، ليهجـم الأمـن علـى التظاهـرة بوحشـية كعادتهـم، واستشـهد أربعـة مـن أصدقائنـا. ولإيمانـي بسـلمية الثـورة وواجـب العمـل بصـورة سـلمية التحقـت مـرة أخـرى بالخدمـة العسـكرية لأحصـل علـى تسـريحي بصـورة رسـمية مـن الخدمـة، وأبـدأ بالالتحـاق بركـب سـلمية الثـورة وبصـورة مسـتمرة فـي منطقـة الزملـكا.

وبعـد أن اسـتمرت التظاهـرات والمواجهـات مـع الأمـن بزملـكا، تـم إعلامـي مـن قبـل بعـض الناشـطين بـأن هنـاك أسـماء تـم تسـريبها مـن مراكـز الأمـن بأنـي مطلـوب علـى الحواجـز، وتـم تعميـم اسـمي، ومـن الأفضـل عـدم مغـادرة المنطقـة التـي أوجـد بهـا. وبعـد ذلـك بشـهر تقريبـا حدث تفجيـر مفتعـل فـي منطقتنـا راح ضحيتـه مـا يقـارب ٤٠٠ شـهيد، ليأتـي القـرار بالتحاقـي بالحـراك المسـلح واقتنائـي بندقيـة مـن نـوع روسـية، والبـدء بالتنسـيق مـع رفاقـي لتأميـن حمايـة مناسـبة للمنطقـة، وبالفعـل اسـتطعنا تأميـن حمايـة شـبه كاملـة للتظاهـرات السـلمية ولأهالـي المنطقـة، وبعتادنـا الضئيـل وعددنـا القليـل، إلـى أن تلقيـت مكالمـة هاتفيـة مـن صديـق لـي وكان مـن أعـز اصدقائـي -كان معتقـلا بفـرع المخابـرات الجويـة بدمشـق- أبلغنـي بأنـه تـم الإفـراج عنـه ولكـن بحـال يرثـى لهـا منهـك مـن دون مـال أو لبـاس وحافـي القدميـن، وطلـب منـي القـدوم لاصطحابـه مـع ابـن عمـه إلـى منزلـه... لـم أفكـر ولـو للحظـة، ذهبـت مباشـرة وأنـا بغايـة السـعادة بصحبـة عـدد مـن الشـباب أصدقائـي لاسـتقبال البطـل، لنصـل إلـى المـكان المحـدد ونجـد الأمـن بانتظارنـا، فقـد أرغمـوه علـى الحديـث معـي واسـتدراجي إلـى الكميـن، ولـم نكـن مسـلحين فتـم اصطيادنـا بسـهولة.

هنـا توقـف الزمـان معـي، وضعونـا فـي السـيارات «مطمشـي» الأعيـن، ولـم نعـرف إلـى أيـن تـم اقتيادنـا، ومـع دخولنـا للفـرع تـم ضربنـا بطريقـة وحشـية وصعقنـا بالكهربـاء مـرات عـدة، لا أسـتطيع وصـف العـذاب الـذي مـررت بـه، لأن الكلمـات لا تناسـب حجمـه أو كمـه، فعـلا لا يوجـد رحمـة فـي قلوبهـم. كنـا فـي مـكان لا أعـرف مـا هـو بالضبـط، كانـوا يسـكبون المـاء علينـا ثـم يكهربـون الأرضيـة، ويقومـون بالدعـس علـى رؤوسـنا وضربنـا بالعصـي لينتزعـوا منـا أسـماء عناصـر مـن الجيـش الحـر، وأصدقـاء لنـا، إلـى أن يغمـى علينـا مـن شـدة التعذيـب، ولكـن مـع الاسـتمرار بالضـرب والتعذيـب لـم أعـد أشـعر بجسـمي، قمـت بالاعتـراف بقنـص شـبيحة علـى الحواجـز، وأننـي كنـت أقـوم بمهاجمـة الحواجـز، فتوقـف التعذيـب ووضعـت فـي زنزانـة مترين بمتـر مـع ١٤ شـخص، كانـت مخصصاتنـا للبقـاء علـى قيـد الحيـاة رغيـف خبـز واحد ٣ مـرات باليـوم. لكنـي كنـت أعامـل بطريقـة مختلفـة، فـكل يـوم كان لـي وجبـة «شـبح» لمـدة سـاعتين خـارج الزنزانـة مـع ضـرب مـن دون رحمـة ثـم يعيدونـي إلـى الزنزانـة. لـم أكـن أعـرف الليـل مـن النهـار، كل الـذي كنـت أعرفـه أنـي تحـت الأرض فـي أحـد الفـروع، كان هنالـك فـي الزنزانـة مـن يقـول إننـا فـي «مطـار المـزة»، ومنهـم مـن يقـول إننـا بحرسـتا، ومنهـم مـن يقـول بملعـب العباسـيين، لكـن فـي الواقـع أنـي كنـت بفـرع المعلومـات التابـع للجويـة بالعباسـيين لمـدة ٤ شـهور ونصـف، وكان هنالـك كثيـر مـن المعتقليـن لهـم أكثـر مـن سـنة لـم يـروا نـور الشـمس. بعـد مـدة وجيـزة تـم نقلـي إلـى زنزانـة أخـرى أنـا وأحـد أصدقائـي الـذي اعتقـل معـي فـي الكميـن نفسـه، وكانـت مكافـأة إلهيـة... مـع أننـا لـم نعـرف بعضنـا فـي اللحظـات الأولـى بسـبب آثـار التعذيـب، ولـم نكـن نتكلـم كثيـرا معـا لأن الـكلام ممنـوع، لكننـا كنـا نسـترق اللحظـات لنهمـس لبعضنـا... حلمـي الوحيـد فـي شـهور اعتقالـي هـو أن أنتقـم للنـاس الذيـن كنـت أسـمع آهاتهـم تحـت التعذيـب، لـو أسـتطيع الخـروج مـن هنـا علـى قيـد الحيـاة؛ وبالفعـل تـم الإفـراج عنـي مـع صديقـي بصفقـة تبـادل مـع الإيرانييـن فـي بدايـة السـنة مـن مطـار المـزة. لـم نكـن نعلـم بأنـه سـوف يتـم الإفـراج عنـا إلا قبـل سـاعات عندمـا تمـت إزالـة الطمـاش عـن أعيننـا لأرى لـون السـماء، وأنـا فـي حـال يرثـى لـه؛ ثيـاب ممزقـة وجسـم هـزل مـن الجـوع والتعـب والتعذيـب، فعـلا كأنـه كتـب لـي عمـر جديـد، لتمـر بضعـة أشـهر قليلـة ويتـم الإعـلان عـن استشـهاد صديقـي ذي المكالمـة الهاتفيـة تحـت التعذيـب، لا تسـتطيع الكلمـة وصـف الظلـم الـذي تعرضنـا لـه فـي أقبيـة النظـام، بـل تعجـز تمامـا عـن وصـف أحلامنـا بالحريـة فـي عتمـة الظـلام وراء الجـدران الداميـة.

مدن ثائرة

معرة مصرين

إعداد هزار بيانوني

بلـدة ومركـز ناحيـة إداريـة فـي محافظـة «إدلـب» فـي سـورية.

تبعـد عـن إدلـب ٩ كـم شـمالا، وعـن نقطـة «بـاب الهـوى» الحدوديـة مـع «تركيـا» ٣٠ كـم جنوبـا. قـال فيهـا الرحالـة الأديـب «عمـر بـن علـي الميقاتـي الحلبـي»: «معـرة مصريـن بلـدة كأنهـا صـورة جنـة الخلـد منقوشـة فـي عـرض الأرض، وهـي بلـدة واسـعة الرقعـة، طيبـة البقعـة، واسـطة البـلاد، ومـن أي طـرف قدمـت إليهـا وجدت الأشـجار حولهـا مـن كل ذات ثمـر تؤتـي أكلهـا وهـي ذات تاريـخ مجيـد».

موقع معـرة مصريـن فـي محافظـة إدلـب

«معـرة مصريـن» مدينـة منظمـة يتبـع لهـا كثيـر مـن القـرى والبلـدات، وهـي مركـز الناحيـة المسـماة باسـمها، ومـن أهـم مـا تتميـز بـه تنظيمهـا الجيـد وشـوارعها العريضـة كمـا أنهـا تحتـوي علـى كثيـر مـن الـدوارات والسـاحات العامـة. وتعـود تسـميتها إلـى اللغـة السـريانية بحسـب مـا ورد فـي كتـاب «معجـم البلـدان» لـ «ياقـوت الحمـوي»، والاسـم مؤلـف مـن قسـمين الأول «معـرة» وتعنـي مغـارة و«مصريـن» جمعهـا الأمصـار وتعنـي بالسـريانية الأمطـار فتصبـح «مغـارة الأمطـار». ورد ذكرهـا فـي عـدد مـن المراجـع التاريخيـة ومنهـا كتـاب «بغيـة الطلـب فـي تاريـخ» حلـب لـ «ابـن العديـم» الـذي قـال فيهـا: «إن أهلهـا ذوو يسـار وأمـلاك وعندمـا هاجمهـم الفرنجـة فـي الحـروب الصليبيـة دفـن أهلهـا فيهـا أمـوالا كثيـرة وإنهـا تعـرف بـذات القصـور».

يذكـر أن الاسـم يكتـب بصـورة خاطئـة فـي المعامـلات والدوائـر الرسـمية علـى شـكل: معرتمصريـن، والتسـمية الصحيحـة ذكـرت فـي كثيـر مـن الكتـب والمراجـع القديمـة مـن مثـل: «تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس» للمؤلـف «محمـد بـن محمـد بـن عبـد الـرزاق الحسـيني»، «تاريـخ دمشـق» لـ «ابـن عسـاكر»، «الكامـل فـي التاريـخ» لـ «ابـن الأثيـر»، و«بغيـة الطلـب فـي تاريـخ حلـب» لـ «ابـن العديـم»، وغيرهـا.

هنـاك أكثـر مـن عشـرين موقعـا أثريـا فـي مدينـة «معـرة مصريـن»، وأهمهـا الجامـع الكبيـر وهـو أعظـم جامـع فـي محافظـة إدلـب، حيـث تعلـو سـطحه مجموعـة كبيـرة مـن القبـاب التـي ترتكـز علـى أربعـة أعمـدة فـي حـرم المسـجد والـذي بنـي عندمـا دخـل «خالـد بـن الوليـد» و«أبـو عبيـدة بـن الجـراح» إلـى المدينـة فوجـدوا فيهـا كنيسـة مبنيـة علـى أنقـاض بيعـة لليهـود، فقـام «أبـو عبيـدة « بوضـع حجـر الأسـاس وأكمـل بنـاءه «عبـادة بـن الصامـت» الخزرجـي الأنصـاري.

ومـن الآثـار الأخـرى مسـجد أبنـاء الخليـل «إبراهيـم» الـذي قـدم إلـى «معـرة مصريـن» مهاجـرا مـن مدينـة «الرهـا» المعروفـة أيضـا باسـم «أورفـا» وتـزوج عـذراء منهـا وأنجبـت لـه ثلاثـة أولاد ذكـور فماتـوا جميعـا قبـل سـن البلـوغ، وبنـى عليهـم مسـجدا فـي الجهـة الشـرقية مـن المدينـة يدعـى إلـى الوقـت الحاضـر «مسـجد أولاد الخليـل» بالقـرب مـن التـل المسـمى «تـل الخليـل»، إضافـة إلـى «مـزار الخضـر» الـذي يقـع فـي جنوبـي البلـد علـى بعـد ١ كـم، ومقـام «الملـك الصالـح» وهـو «أحمـد بـن الملـك الظاهـر غـازي ابـن السـلطان صلاح الديـن»، والـذي يقـع فـي الجهـة الشـمالية مـن المدينـة.

المدينـة والثـورة

خرجـت أول تظاهـرة فـي المدينـة بتاريـخ ٢٠١١/٤/٢٢، وجابـت شـوارع المدينـة، وهتـف المتظاهـرون نصـرة لدرعـا والمناطـق المحاصـرة، كمـا طالبـت بإسـقاط النظـام. وتبـع تلـك التظاهـرات اشـتباكات بيـن أبنـاء المدينـة وشـبيحة النظـام فـي إثـر خـروج التظاهـرات المناهضـة للنظـام بهـا.

ومازالـت مدينـة معـرة مصريـن تدفـع ثمـن وقوفهـا مـع الثـورة؛ فهـي تتعـرض للقصـف المدفعـي العشـوائي مـن النظـام، بالإضافـة إلـى وقوعهـا علـى جبهـة قتـال، حيـث تقـع جنوبهـا قريـة « كفريـا» الموالـة للنظـام، وجنوبـا إلـى الشـرق بلـدة «الفوعـة» الموالـة للنظـام أيضـا، وتحـدث اشـتباكات بصـورة مسـتمرة بيـن الثـوار فـي المدينـة والشـبيحة فـي هاتيـن القريتيـن. كمـا تشـهد منـازل المدينـة دمـارا هائـلا نتيجـة القصـف الـذي تتعـرض لـه، ولكـن سـكان المدينـة لـم ينسـوا أن ينقشـوا علـى الجـدران إيمانهـم بالثـورة علـى الرغـم مـن كل شـيء.

شـهداؤها يدفنـون فـي باحـات المـدارس

قدمـت معـرة مصريـن عـددا كبيـرا مـن الشـهداء، إذ يبلـغ عـدد شـهدائها إلـى اليـوم أكثـر مـن «٢٠٠ شـهيد» بيـن مدنييـن ومقاتليـن دفنـوا فـي باحـات بعـض المـدارس فـي المدينـة، بسـبب عـدم تمكـن الأهالـي مـن دفنهـم فـي مقابـر المدينـة التـي تقـع فـي منطقـة مكشـوفة علـى جبهـات القتـال مـع الشـبيحة فـي كفريـا والفوعـة.

كمـا أن هنـاك عشـرات المعتقليـن مـن أبنـاء المدينـة فـي سـجون النظـام. وبقيـت الثـورة سـلمية فـي المدينـة واسـتمر التظاهـرات بالخـروج إلـى أن تحولـت الثـورة إلـى المسـار المسـلح، فانشـق كثيـر مـن أبنـاء المدينـة ممـن يخدمـون فـي صفـوف الجيـش وشـكلوا كتائـب بمشـاركة الأهالـي للدفـاع عـن المدينـة مـن قـوات النظـام، وشـارك أبنـاء المدينـة فـي عـدد مـن معـارك التحريـر مـن قـوات النظـام، ومنهـا «معركـة الرتـل» الـذي كان متجهـا إلـى بـاب الهـوى فتصـدى لـه أبنـاء المدينـة وكبـدوه خسـائر كبيـرة.

النـازحون

ونتيجـة القصـف اليومـي نـزح كثيـر مـن أبنـاء المدينـة، حيـث تقـدر نسـبة النازحيـن مـن سـكانها الأصلييـن اليـوم بـ «٣٥ ٪»، ووصلـت فـي مرحلـة سـابقة إلـى «٩٠٪». وتؤوي المدينـة كثيـرا مـن العوائـل النازحـة إليهـا مـن قـرى وبلـدات تتعـرض للقصـف بصـورة أعنـف. وعلـى الرغـم مـن معاناة المدينـة منـذ بدايـة الثـورة نـرى جدرانهـا اليـوم مكسـوة بعشـرات العبـارات الثوريـة.

بريد القراء

سقـوط حمـص

بقلم : ياسر عبد الله

سقطـت حمـص الوليـد بأيـدي الصفويـين لإهمالنـا أمريـن أمرنـا بهمـا رب العالميـن. مـن واجـب كل ثائـر حـر أن يوجـه تحيـة إجـلال وإكبـار لأبطـال حمـص العديـة الذيـن صمـدوا علـى حصارهـم الأسـطوري أكثـر مـن سـنتين أمـام أشـرس نظـام دمـوي عرفتـه البشـرية، يسـانده مثلـث الإجـرام «روسـيا» و«إيـران» و«حـزب الشـيطان» مسـاندة لـم يعـرف تاريخنـا الحديـث لهـا مثيـلا؛ فقـد دعمـوا آل الاسـد بـكل مـا يسـتطيعون مـن رجـال وأمـوال، وزودوهـم بخبراتهـم ومعداتهـم العسـكرية لمشـاركة الطاغيـة بشـار فـي محاربـة وقتـل أبنـاء الشـعب السـوري السـني فـي كل مدينـة وقريـة منـذ بدايـة الثـورة وإلـى يومنـا هـذا... بينمـا قـدم مناصـرو الثـورة السـورية مـن قـادة دول العالـم للشـعب السـوري بعـض الدعـم الإغاثـي، وجلسـوا وراء الشاشـات يتابعـون المجـازر اليوميـة التـي أصبحـت مشـاهدتها أشـبه مـا تكـون مـن مشـاهدة مسلسـل مكسـيكي لا يعلـم أحـد متـى ينتهـي، يحزنـون تـارة، ويسـتنكرون ويشـجبون بتصريحاتهـم للإعـلام تـارة أخـرى، فلـم يكتـرث الثـوار والشـعب السـوري الحـر للـدول الداعمـة للأسـد أو للمناصريـن لهـم بالـكلام المعسـول، ولـم ينتظـروا وعودهـم التـي سئمـوا مـن سـماعها مـرارا وتكـرارا، فقالـوا قولتهـم التـي سيسـجلها لهـم التاريـخ: يـا اللّه، مالنـا غيـرك يـا اللّه، وقـرروا مواجهـة الطاغيـة المجـرم الأسـد بالسـلاح للدفـاع عـن أنفسـهم وعرضهـم وأرضهـم ومضـوا فـي مواجهتـه معتمديـن علـى رب العالميـن أن يحقـق لهـم النصـر فـي ثورتهـم، ولكـن أهملـوا أمريـن مهميـن أمرهـم بهمـا اللّه تعالـى: «واعتصمـوا بحبـل اللّه جميعـا»، «ولا تفرقـوا». الأمـر الأول: لـم يتفقـوا علـى قيـادة عسـكرية وسياسـية موحـدة، فهنـاك مئـات مـن الفصائـل والكتائـب المقاتلـة مـا إن تتوحـد مجموعـة مـن تلـك الفصائـل حتـى ينشـق عنهـا فصائـل أخـرى مـع الإعـلان عـن تشـكيل فصائـل جديـدة بيـن مـدة وأخـرى وكذلـك هـو الحـال للقيـادات السياسـية. الأمـر الثانـي: تعزيـز تفرقنـا ليصبـح التعصـب للمناطـق والأحـزاب هـو السـائد بيـن الثـوار؛ فيـرى كل فصيـل مقاتـل بـأن مـا حصـل عليـه مـن تبرعـات لشـراء الأسـلحة أو مـا حصلـوا عليـه مـن غنائـم مـن النظـام خـاص بحزبـه ومنطقتـه، وهـذا ينطبـق أيضـا علـى مـا يصلهـم مـن التبرعـات الإغاثيـة. فهـل نواجـه أنفسـنا ونعتـرف جميعـا بأخطائنـا القاتلـة التـي أفرحـت النظـام الأسـدي، واسـتغلها أسـوأ اسـتغلال ليقضـي علـى المـدن الثائـرة منفـردة وينتصـر عليهـا، ليتحقـق حلـم الصفوييـن وآل الأسـد بسـقوط مـا تبقـى مـن المـدن الواحـدة تلـو الأخـرى لا قـدر اللّه، لتسـقط معهـا الثـورة بصـورة نهائيـة ويبقـى الشـعب السـوري عقـودا طويلـة تحـت حكـم آل الاسـد والصفوييـن، ليحكمونـا كمـا يخططـون للأبـد بعـد كل مـا قدمـه الشـعب السـوري مـن التضحيـات الجسـام؟ أم نتـدارك أسـباب تأخـر النصـر ونمتثـل لمـا أمرنـا بـه اللّه تبـارك وتعالـى؟ لنوحـد صفوفنـا ويكـون أبنـاء سـوريا كالجسـد الواحـد يمثلهـم كيـان سياسـي وعسـكري وإغاثـي موحـد؛ نسـأل اللّه أن يوفـق الثـوار لذلـك. ليرجـع أحفـاد بـن الوليـد إلـى عاصمتهـم ويجتمعـوا عنـد قبـر سـيف اللّه المسـلول سـيدنا خالـد ليقولـوا للعالـم أجمـع: هـا هـم أبنـاء سـوريا الأحـرار اتحـدوا علـى قلـب رجـل واحـد وسـيبقى شـعارهم يـا اللّه، مالنـا غيـرك يـا اللّه، قـولا وعمـلا. وبتوحدهـم سـيهزمون آل الأسـد والصفوييـن علـى الأراضـي السـورية جميعهـا، وسـيبقى أبنـاء سـورية متحديـن فـي ثورتهـم حتـى يتحقـق النصـر، وسـيبنون سـورية مـن جديـد بعيديـن كل البعـد عـن المناطقيـة والحزبيـة، بعـون مـن اللّه ومـا ذلـك علـى اللّه بعزيـز. نسـأل اللّه تعالـى أن يرزقنـا جميعـا الإخـلاص فـي القـول والعمـل وأن يعيـن الثـوار الأحـرار علـى تحمـل مسـؤولياتهم، ونسـأله جـل علاه أن يكتـب الأجـر للمخلصيـن الذيـن ناصـروا أهلنـا منـذ بدايـة الثـورة علـى أحسـن وجـه فقدمـوا أموالهـم وأنفسـهم وأولادهـم لنصـرة الشـعب السـوري إرضـاء للّه لا ينتظـرون مـن أحـد جـزاء ولا شـكورا، وأن يخلـف اللّه عليهـم فـي الدنيـا والآخـرة.

مشاريع ثورية

مركــز نســائم الحريــة

إعداد كيندة التركاوي

مركـز نسـائم الحريـة - رابطـة المـرأة السورية، إرادة المرأة السورية إرادة قوية، لا يقـف بوجهها عائـق، ولا تثنيها الصعاب عن المضي قدما في درب الأمل المنشود، والمسـتقبل الموعـود؛ فقـدن أزواجهـن، واكتسـبن قوة تدفعهن للاستمرار بالحياة مـن أجل أبنائهن، واكتسـبن فخرا دفعهن للسير علـى خطـى أزواجهـن فـي الجهـاد بطريقتهـن. إيمـان المـرأة السـورية بـاللّه وبالقضـاء والقـدر يمدهـا بعزيمـة قويـة كالجبـال، وضعـت شـهادة زوجهـا وسـاما علـى صدرهـا، وحولـت مـرارة غربتها إلى حـلاوة ثوب ارتدته تتبختر به وهي تعمل بيديـن كانتـا مـن الحريـر أنعـم، لتعطـر بأنفـاس طهرهـا عمـلا شـريفا يعينهـا وبنيهـا علـى نوائـب الزمـان، لـم تجلـس تندب حظها، وتبكي بعلها، افتقدته بحق، ولكـن شـهادته كانـت حافزا لها لاسـتمرار الحياة بالعمل الكريم الذي يكفيها ويقيها مذلـة السـؤال، فالمـرأة السـورية عفيفـة المحيـا، عزيـزة النفـس، شـامخة، أبيـة، كريمة، وهذا ما دفع مجموعة من النسـاء إلـى إنشـاء مركـز للعمل الشـريف المنتج، يضم عددا من زوجات الشـهداء. تم إنشاء مركـز «نسـائم الحريـة لرعايـة زوجـات الشـهداء» بتاريخ ٢٠١٢/١٢، وكان الهدف منـه تطويـر وتدريـب زوجات الشـهداء من ناحيـة دينيـة ونفسـية وعمليـة ليحققـن الكفاف ويسـتغنين عن ذل السـؤال، وكان ذلـك بتدريبهـن وتشـغيلهن فـي ثلاثـة مهـن وهـي ١- الخياطـة ٢- التجميـل ٣- المطبـخ الإنتاجـي. يعمـل المركـز كخليـة نحـل، العمل منظم ومرتب بدءا من ملكة الخليـة، المشـرفة علـى المركـز وانتهـاء بأصغـر عاملـة فـي هـذه الخليـة العسـلية النشـطة. دخلـت تلـك الخليـة الرائعـة واسـتمتعت بالحديـث مـع القائمـات علـى العمـل، وأبهـرت بإتقـان العمـل وجودتـه، والـذي أخذ لبي وسـحرني الروح السـورية التـي تخللـت كل جـزء مـن العمـل علـى الرغـم مـن غربـة المـادة الأوليـة. تعالـوا نتعـرف علـى هـذا المركـز الرائـع سـوري الـروح، واليـد، والإنتاج. قسـم الخياطة: بدأ المشـروع بثـلاث ماكينات بيتيـة، وقد تم تعليم عدد من النساء مهنة الخياطة ومن ثم تمت توسـعة المشـروع وذلك بإضافة ماكينـات صناعيـة جديـدة درزة وحبكـة. وقـد تمـت خياطـة سـتر شـتوية وزعـت علـى أطفـال مخيـم الزعتـري، بالإضافـة الـى المراييـل المدرسـية، وخياطـة أطقـم أطفـال وأطقـم صـلاة بأنواعهـا الخليجيـة والسـورية، وقمصـان وبناطلين، بالإضافة إلـى صناعـة كفـرات غـرف نـوم، وكفـرات أطفـال وجهـاز بيبـي، كمـا تـم خياطـة مناشـف حمام، وأيضا شراشف أسرة مفردة ومزدوجـة، لـم يكتـف المركـز بهـذا، بـل قـام بخياطـة ملابس العمليـات الجراحيـة. وبعيـدا عن الجراحـة، وبالعودة إلى الأمل، دخلـت المطبـخ السـوري فـي عمـان، وهـو أحد أفـرع مركز الحريـة، ورافقتني الأخت الفاضلـة «أم عبـدو» فـي جولـة داخـل المطبـخ وعرفتنـي علـى كيفيـة العمـل، وقالـت: «الهـدف مـن المشـروع كفـاف زوجـة الشـهيد أولا وأخيـرا وصونهـا عـن ذل السـؤال، والمـرأة السـورية ماهرة في الطبـخ، ولهـا نفس رائـع، طعامها شـهي، وتابعـت أم عبـدو: تـم إنتـاج مجموعة من المأكـولات والمنتجـات السـورية فـي هذا المطبـخ، وهـو من عمـل زوجات الشـهداء ومـن هـذه المنتجـات زيتـون أخضـر، وزيتـون أسـود، المكـدوس ومربـى القرع، وكـم كان شـهيا عندمـا تذوقتـه، تذكـرت مربـى القـرع الـذي كانت تصنعـه والدتـي، بالإضافـة إلى مربى السـفرجل. في غرفة أخـرى كانـت المخللات، أوعيـة ممتلئـة باللفـت المقشـر لصنـع المخـل، كذلـك تـم عمـل مخـل الجـزر والخيـار ومخـل الفليفلـة محشـية بالملفـوف، أروع أنـواع المخللات. الركـن الأشـهى فـي المركـز ركـن المأكـولات اللذيذة، فالنسـاء منكبات فـوق الأوعيـة لتكبيـب الكبـة الشـامية، ويبنيـن بأيديهـن عـش البلبـل، ويجدلـن بأناملهن السمبوسك، ويوشوشن الشيش بـرك بعبـارات بينهن بيـن الفينة والأخرى لإضفـاء جـو المـرح والدعابة علـى العمل. وفـي المعـدة فجـوة لا تملؤهـا إلا الحلـوى، والحلويـات فـي مركـز نسـائم الحريـة فاخـرة الصنـع والصنيـع، فقـد تـم إنتـاج المعمـول بالفسـتق الحلبـي، والأقراص الحمصية المشـهورة برائحة المحلب الجميـل، والبـرازق ومجموعة مـن الحلويـات المتنوعـة الفاخـرة. هـذه الأطعمـة الفاخـرة تجهـز وتباع ليعود ريعهـا رواتب لزوجات الشـهداء، بالإضافة إلـى التواصي. نتـرك الطبخ ورائحتـه الشـهية الزكيـة لننقـل إلى الجمال والرومانسـية والابداع، فلمسات المرأة السـورية أينما حلت تبدع وتخط أجمـل وأزهى الألـوان، وبرفقـة جمال المـرأة السـورية المميـز تـم افتتاح صالون التجميـل من أجل تدريب زوجات الشـهداء على مهنة التجميل لتكون لهن مهنة بأيديهن تعينهن على معيشـتهن، ويقـوم مركز نسـائم الحريـة بتجهيز العرائـس السـوريات تجهيـزا كامـلا على أيـدي خبيرات فـي التجميل. ليس الجانب المـادي وحده المهـم في مركز نسـائم الحريـة، فالأهم بنـاء الكيان الإنسـاني ودعمـه لاسـتمرار الحيـاة، لمـن فقدت زوجها شـهيدا في سـورية الجريحة، وإنما لا بد من إيجاد مسـاعدة تنمويـة فكريـة ومهاراتيـة. وهـذا ما دفـع القائميـن علـى المركـز للقيام بمشروع «أعطني خبزا وعلما» بعد ملاحظة دقيقة لمدى حاجة زوجات الشـهداء لبعـض المهارات ليكـن قـادرات علـى التكيـف مـع الظـروف الحاليـة والمسـتقبلية وقادرات علـى بناء أبنائهن؛ فالهـدف العـام للمشـروع «زوجـة شـهيد مثقفـة، واعيـة، متمكنـة، ومربيـة فاضلـة»، حيث يلتقـي المركز بمجموعة من زوجات الشـهداء فـي مكتـب التدريـب والتطوير – رابطـة المرأة السـوري، الكائن بحي «نزال» في مدينة «عمان»، وذلك بإشـراف قسـم الدعم النفسي والتربوي في رابطة المرأة السورية، فيتعرف عليهـن ويعرفهن على المشـروع، ويدربهـن علـى كيفيـة التأقلم مع الظروف الراهنة، وعلى مجموعات من المهـارات الحياتيـة التي يجب أن تكسـبها المرأة السـورية. وللجانب الديني مساحة واسعة في المركز الذي يعمل على دورات تحفيـظ القـرآن لزوجـات وأبنـاء الشـهداء، بالإضافـة إلـى المحاضـرات الدينيـة والإرشـادية، ودورات اللغـة الإنجليزيـة لأطفال الشـهداء في مركز نسـائم الحرية. كما قام المركز بكفالة ٣٠٠ أسـرة شهيد، وكانـت هـذه الكفالـة عبـارة عـن سـكن وراتـب شـهري للأسـرة وتسـجيل أطفالهم بمـدارس خاصـة. من مركز نسـائم الحرية، يهـب نسـيم ربيـع دافئ، يعبق الجو برائحة زهـر الليمـون الـذي يفـوح مـن المعمـول والمربيـات ليتغلغـل في طهر أطقم صلاة فيتحـول إلـى مسـك وعنبـر، يعلـق علـى جسـد «ديـارة» طفـل وليد تنجبـه عروس سـورية الحـرة، وترتسـم علـى ثغـره ابتسامة الحرية والنصر القادم بعون اللّه.

شاهد على الثورة

المناطـق المحاصـرة والمناطـق المفتوحـة.. فجـوة الاختـراق

بقلم وليد فارس

لطالمـا بقيت فكـرة «المجتمعات المغلقة، الدولـة المغلقـة، الحـدود المغلقـة...» نظريـة بحتة يسـتخدمها الأكاديميون في دراسـتهم لتبسـيط دراسـة «الظاهـرة»؛ فالحركيـة الدائمة تحد من قـدرة الدارس علـى اسـتخلاص النتائـج، ومـع تطـور الأحـداث فـي الثورة السـورية بدأت تنشـأ ظاهـرة المناطـق المحاصـرة، والتـي تعـد تطبيقـا عمليـا لتلـك الفكـرة النظريـة. الحركيـة والقـدرة علـى الدخـول والخـروج عبـر «المنفـذ أو المنافـذ» إلـى المناطـق المفتوحـة تحمل فـي إيجابياتها المتعددة جرثومـة الاختراق، الجرثومـة التي زرعها النظـام وعمـل على نشـرها، حتـى صارت مرضـا حقيقيـا ينتشـر فـي المجتمعـات الثوريـة المفتوحـة كلهـا، وإن كانـت المجتمعات المغلقة تنتابها نوبات مرضية فـي أوقـات معينة إلا أنها معافـاة -غالبا- مـن مـرض الاختـراق، وتلـك النوبـات إنما تصيبهـا عبـر «المنافـذ الافتراضيـة»؛ فالتواصل عبـر الإنترنت، وأجهزة الهاتف، والبرامـج التي تعتمد على الشـبكة... هي أحـد أهم أسـباب اختراق تلـك المجتمعات المحاصـرة والتـي يصعـب الوصـول إليها «فيزيائيـا» فـي أغلـب الأحيـان. الاختـراق مـن وجهـة نظـر النظـام ليـس هـو ذلـك الاختـراق التقليـدي الـذي يخطـر علـى بـال بعضهـم؛ فالمخبـرون التقليديـون والحصـول علـى المعلومـات هـي أول مـا يتبـادر إلـى ذهـن القـارئ عنـد الحديـث عـن موضـوع الاختـراق، إلا أن الأمـر فـي المجتمعـات المفتوحـة أكبـر مـن ذلـك بكثيـر، وقـد لا يملك بعضهـم الجرأة على القـول إننـا نعيش ونتعامل مع مؤسسـات جـزء منهـا مخترق «مـن أخمـص القدمين إلـى النخـاع»، بـل إن مؤسسـات ثوريـة أو عسـكرية أو مدنيـة تـم إنشـاؤها من قبل النظـام نفسـه، ولا يقتصـر الأمـر علـى انضمـام بعض الكتائب المنشـأة من قبل النظـام إلـى «داعـش» وأمثالهـا، أو زرع قيـادات نوعيـة فـي مؤسسـات عسـكرية، بـل إلـى كيانـات وأفـراد يعملـون مـع النظـام، بـل هـم جـزء من ذلـك «النظـام| المنظومـة الأمنيـة»، ولا تقتصـر أعمالهـا علـى نقـل المعلومـات بـل تتعـدى ذلـك إلـى تنفيـذ برامـج. إن طبيعـة المناطـق المغلقـة تسـهل علـى المنتقلين عبـر المنافـذ التعامـل مـع الطرفيـن «الثـوار والنظـام»، وتجعـل مـن الأمـر سـهلا واعتياديـا. النـزوح والتغير الدائم للسـكن فـي تلـك المجتمعـات بسـبب طبيعـة المعـارك أمـر آخـر يجعـل مـن الصعوبـة بمـكان التعـرف علـى الوافديـن الجـدد، والرغبـة فـي إبقـاء شـعرة معاويـة بيـن مؤسسـات الدولـة الخدميـة التـي يديرهـا النظـام وبيـن تلـك المناطـق سـبب آخـر لتوسـيع هـوة الاختـراق بيـن المناطـق المفتوحـة ونظيرتهـا المغلقـة. قـد يكـون الهـدف النهائـي لذلـك الاختـراق الجـذري هـو تثبيـط الثـورة وإحبـاط أعمالهـا، ووقـف تدفقهـا الجـارف، وإن حجـم الاختـراق لتلـك المؤسسـات يقـدم سـببا عظيما من أسـباب طـول أمـد ثـورة الكرامـة، وقـد يكـون الهـدف النهائي لكل ذلـك الاختراق هـو فرملـة الثـورة وتحويلها عن مسـارها «الانقـلاب عليهـا». تعيـش المناطـق المحاصـرة -علـى الرغـم مـن الويـلات التـي تعانيهـا- فـي مسـتوى أفضـل بكثيـر مـن مثيلاتهـا المفتوحـة مـن حيث الاختـراق، وبيـن هـذه المجتمعـات وتلـك فجـوة واسـعة، وبـكل تأكيـد ليـس الحـل بـأن ندفـع بإغـلاق المناطـق المفتوحـة، بـل دعونـا نسـتعير مـن تلـك المناطـق المحاصـرة مصطلحـا قريبـا هـو مصطلح «التحصيـن»، تحصـيـن المجتمعـات المغلقـة ومؤسسـاتها المختلفـة ضـد جرثومـة الاختـراق تلـك، من خـلال نظام ضبـط وتدقيـق واسـتعلام ومراقبـة.

المرأة والثورة

الضحيــة التاليــة

إعداد شمس الهادي

منـذ سـنوات كنـت أقيـم وقتها في «باريـس»، أمضيت وقتـا أخذني إلى ما قبل أكثر من خمسـمئة سـنة، إلى أحد الجـراح العميقة في جسـد الأمة؛ ذلـك الوقت الـذي غير مسـار تاريخ أمتنـا وحضارتنا إلى غيـر رجعة، وقت قـرأت رواية «ثلاثية غرناطـة» للكاتبة «رضـوى عاشـور». قصـة سـقوط الأندلس مدينـة وراء أخـرى، ومذبحة تلو أخـرى، اسـما وراءه آخر.كيف تبدأ تتغير معالـم المدن، وتتغيـر الهوية، والأسـماء. يسـلخ الديـن والعروبـة قطعـة قطعة، حتـى لا يبقى شـيء غير الذكرى، والحسـرة، والعالم العربي والإسـلامي كان ومازال يتفـرج. يتفجر في قلبـي جـرح جديد بجـرح قديم، جرح فلسـطين ومدنها الذبيحة الأسيرة الجريحة. وقتها قلت في نفسـي: ماهي تلـك الأمة التي تسـمح بتكـرار هذه المآسـي المفجعة؟ ونحن نراقب بصمت عملية سـلخ جـزء من جسـدنا قطعة وراء قطعة، لا شـيء يحركنا، لا سقوط غرناطـة حركنا، ولا سـقوط «القدس» غير شـيئا فينـا، ولا سـقوط «بغداد» جعلنا نغير شـيئا في حياتنـا، نحن ما زلنا هنـا؟ ننام ونـأكل ونصحو، ويأكل بعضنا بعضـا، ونخون بعضنـا بعضا، ونتخلـى عن بعضنـا بعضـا؟ تتمزق قلوب، وتغلق دروب وتباع أراض مقدسة ترابهـا التبر، هي أقـدس من كل أرض في الدنيا، لأنها سـقيت بمـا هو أثمن وأغلى عنـد اللّه من الكعبـة؛ إنه الدم الطاهر، دم أطهر البشـر، دم الشهداء، الرعيـل الأول، النخبة، خيـرة اللّه من خلقـه. سـقطت غرناطة، وسـقطت القـدس، وسـقطت بغداد، وسـقطت حمص، وسـقط قلبي، سـقطت قلوبنا. نحن.. نحن من سـقط، وهي سـتبقى. سـقطت تلك الأمة التي ماتزال تسفح الملايـيـن على أقـدام غانياتهـا، أما أطهر البشـر فهم يباعون ويشـترون ويخذلون حتـى يأكلوا أوراق الأشـجار. يا من موطـئ قدمك بالدنيا بأسـرها، يا من زفرة مـن قلبـك المحترق بكل كونهم العابـث اللاهي، يـا من لمحة مـن عينـك المتوقدة تحديـا وصمودا وتضحيـة وصبـرا، ترمـي بحيواتهم التافهة كلهـا إلى مزبلـة التاريخ؛ أيها السـاروت ويا أبطال حمص، يا شـهداء حمـص، يـا رعيـل الثـورة الأول، لا تسـامحونا.. لا تسـامحونا، إننا نلد في كل يوم خذلانا وضعفا. لا تسـامحينا يا تلال الأندلس، لا تسـامحينا يا غرناطة، لا تسـامحينا أيتها القدس، لا تسامحينا يا حمـص. أيتهـا المدن الجريحة الذبيحـة لا تسـامحي أمة اغتسـلت بعارها، وغرقت بشـنارها، وهي تتفرج عليـك تغتصبيـن ولا يرف لهـا جفن تنتظر اغتصـاب الصبية التالية، سـت الحسـن وسـيدة الحرية والكرامة، فأي كرامـة بعد ذلـك تبقى لنـا؟ أمتي، يا أمتـي متى تسـتيقظين لتنقذي طليعة شـبابك الأبطـال الذين يتحـدون كل ظلمة التاريخ والجغرافيـا، وكل جبروت القهـر والاسـتكانة والـذل؟ منادين بالحـق والخير والطهر والحرية للبشـر كلهـم؟ متى تفتحيـن ذراعيك وصدرك لتحتضنيهـم، وتحميهـم وتنصريهم؟ وإلى ذلـك الحين تابعـي الفرجة على فتياتك وهن يغتصبـن، وصدقيني، لن يقـف الأمر وقتهـا عنـد الفرجة فقط، سـتكونين أنت الضحيـة التالية.

شــمولية الإســلام تضبط الحضارة الإنســانية ولا تصنعــها (الجزء الأول)

بقلم إبراهيم العلبي

لعل أكثر المبادئ الإسلامية التي تحظى باتفاق المسلمين عبر العصور ومازالت تسهم في تشكيل الوعي العام والعقل الجمعي وبناء التصورات الكلية والجزئية والمواقف المجملة هو مبدأ شمولية الإسلام، ولكن هذا المبدأ بقي بعيدا عن التفصيل والتدقيق «العميق» على مستوى المفهوم، فهل الشمولية تلك تعني نصا شرعيا في كل واقعة أو مسألة أم نصا في بعض الوقائع دون أخرى؟ الجواب ببساطة هو الثاني، وهو ما أجاب به العلماء المتقدمون منهم والمتأخرون، ولكن ما تفصيل ذلك؟

في الحقيقة، ثمة نظام محدد لهذه الشمولية يصنف المسائل تحت أصناف شتى ثم يسلك مع كل صنف منها مسلكا مختلفا، بحيث نجد أن بعض مجالات الحياة البشرية تكاثرت النصوص الشرعية فيها ولامست أغلب تفاصيلها ولم تترك مساحة واسعة للقياس وإعمال العقل، ولكننا نجد بعضا آخر من تلك المجالات كانت بمنأى عن ذلك؛ فالنصوص التي جاءت بصددها تقرر في الغالب مبادئ وعموميات، وربما نصت على نماذج وأمثلة حية ليقاس عليها ويترك للعقل مجالا فيها للاجتهاد، أو ترسلها «وفقا لعبارة الأصوليين» وتسكت عنها مع انتظامها تحت مبدأ «أينما وجدت المصلحة فثم شرع الله».

إن الإقرار بأن الإسلام نظام شامل لمناحي الحياة العامة والخاصة المختلفة يستلزم الإقرار أيضا بأن الشمولية هنا ليست على مستوى واحد في تلك المناحي جميعها، ففي حين نجد أن التشريعات الإسلامية تدخل في تحديد أدق التفاصيل على صعيد «العبادات والشعائر» الفردية منها أو الجماعية، وكذلك على صعيد «الروابط الأسرية» والأحكام الضابطة لها، فإننا لا نلمح هذا القدر من الدقة في التحديد والغوص في التفاصيل على صعيد المعاملات المالية والاقتصادية والسياسية ومجالات السلوك العام كلها مما تتبدل كثير من تفاصيله وأساليبه بتبدل مستويات نضج الحضارة، بل نقف عوضا عن ذلك على مبادئ عامة وقواعد مطردة وأمثلة عملية محدودة ليقاس عليها أشباهها أمرا أو نهيا.

لا يخفى أن شمولية الإسلام بمعناها الخاص تتيح للمسلمين مرونة قصوى في المجالات التي تتسم بسمة التبدل والتحول، ولا «تقرر» لهم فيها أحكاما بقدر ما «تربي» في وجدانهم قيما أخلاقية تحكم سلوكهم فيها من دون أن تختص بمجالات دون غيرها، من مثل العدل والإنصاف والصدق والأمانة، وتتجلى هذه المرونة في أصول وقواعد مهمة نوقشت في علم «أصول الفقه» والذي يعرف بمصادر التشريع الإسلامي الرئيسية ويفصل النقاش حولها، كما يعرف بمشروعية اعتبارات عدة، من مثل العرف والاستحسان والمصالح المرسلة والذرائع في عملية الإفتاء والاجتهاد، ويفصل النقاش فيها أيضا، ويرى علماء الأصول أن هذه الاعتبارات هي مصادر تشريع بحد ذاتها ما دامت تكمل المصادر الرئيسية ولا تصطدم معها، ومن ثم قال من قال إن في الإسلام حكما شرعيا لكل شيء مهما اتسعت دائرة المباحات أو المسكوت عنه، ولكن هذه الدائرة على أية حال تشير إلى حقيقة أن في الحياة من الأشياء ما سكت عنه الشرع لا غفلة من المشرع بل حكمة ورحمة، كما جاء في الحديث.

ولكن ما الحكمة من السكوت عن أشياء تارة، والاكتفاء بالتأكيد على قيم عليا بخصوص تلك الأشياء تارة أخرى؟ وما وجه الرحمة في ذلك؟ لا شك أن الإنسان مجبول على نوازع ورغبات وميول وعواطف معينة أودعها الخالق في أصل خلقته، وأطلق عليها اسم «الفطرة»، وجعل من هذه «الفطرة» كفيلة بدفع الإنسان باتجاه الفعل والسلوك بغض النظر عن تقويمه، وقد امتدح القرآن الكريم «فطرة الناس» ووصفها بالدين القيم؛ أي المستقيم في قوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها، لاتبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم» [الروم: ٣٠]. وحيث إن الفطرة تمثل «طاقة» تنطلق أو تتفجر بذاتها، بمثل الرغبة بالإعمار والامتلاك، والنزعة إلى التقنين والتنظيم والاجتماع، والميل إلى استثمار الوقت والمادة، فإن هذه الطاقة في الواقع ليست بحاجة إلى محرك، فهي فاعلة بذاتها، ومن ثم لم ينزل الوحي ليحركها، وإن نوهت نصوصه بأهميتها وأخبرت عنها، بل جاء الوحي ليضبط فعلها وانفعالها من جهة، ويحميها من الانحراف أو الشطط من جهة أخرى.

لعل ما سبق بيانه يفسر، بوجه من الوجوه، سبب تفاوت مفهوم شمولية الإسلام في بعض مناحي الحياة، ويؤكد حقيقة أنها شمولية مباشرة في بعضها وغير مباشرة في بعض آخر، ومزيج منهما في بعض ثالث، على أن المقام يضيق عن مزيد من التفصيل، ولكنه يحيلنا حتما على سؤال ردده باحثون ومفكرون معاصرون، هل الإسلام يأمر بالتحضر؟ وهل في تشريعاته ما هو كفيل بمفرده بإحداث النقلة الحضارية والتقدم الشامل بشتى صوره؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه على ما تقدم شرحه في الجزء الثاني من هذا المقال.

من إشكاليات وعوائق التغيير

٤- استشــراف المستقــبل

قد تكون إحدى الثغرات الكبرى في مشاريع التغيير والنهوض في التفكير الإسلامي المعاصر تتجسد أو تتمثل أبعادها في موقفها من المستقبل أو تعاملها مع الزمن بصورة عامة، إذ طغى عليها الانحصار في الزمن الماضي والهرب إليه والاحتماء به إلى حد بعيد، وذلك لأسباب عدة قد لا تكون مطروحة للمعالجة والنظر الآن، حتى إن تعاملها مع الماضي والحاضر لم يأت ثمرة لنظرات علمية ودراسة موضوعية تمكنها من فهمه، واكتشاف منابر التأثير، ووسائل وآليات التغيير فيه، في ضوء فقه اجتماعي سنني يحسن استشراف الماضي، بينما لم يحظ المستقبل إلا بأقل القليل، على الرغم من أن معرفة أو محاولة رسم صورة المستقبل المأمول تمثل إحدى عناصر ومرتكزات التغيير.

فالزمن بأبعاده الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، هو الوعاء الذي يختبر ويحتضن فعل التغيير ولا يصنعه، مما يجعل النظرة الدهرية التي تعطل فاعلية الإنسان وتخرجه من التطلع إلى التغيير للحال في المستقبل على ضوء تجارب وإصابات الحاضر ومسيرة الماضي، مرفوضة علميا ومنطقيا، كما هي مرفوضة شرعيا.

لقد أنقذ الإسلام الإنسان من النظرة الدهرية، وجعل الزمن مسخرا للإنسان ومجالا لكسبه واغتنامه، ونمى حسه بالزمن كقيمة ووعاء للفعل، من خلال مشروعية العبادات: الصوم، والصلاة، ومواقيت الحج، ومواقيت الحول في الزكاة، وسخر من الذين يلغون إرادتهم، ويطفئون فاعليتهم ويستسلمون للزمن، الذي يفعل بهم فعله -بحسب ظنهم- قال تعالى حكاية عنهم: «وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» [الجاثية: ٢٤].

لقد عجز هؤلاء عن إدراك دور الإنسان وحريته، وعن اكتشاف العلاقة الحقيقية بين الزمن والتغيير.

إن أية مشاريع للتغيير والنهوض، بعيدا عن اعتبار الأبعاد الثلاثة للزمن: الماضي، والحاضر، والمستقبل، سوف تكون قاصرة وتبوء بالفشل، ذلك أن الانحصار في الماضي -الذي أصبح زمنا لا يمكن استرجاعه- من دون القدرة على استشرافه للإجابة على أسئلة الحاضر، هو لون من التحنط والتيبس للحاضر في متاحف الزمن، والانتقال لسكنى المقابر بدلا من سكنى المدائن وإلغاء الماضي نفسه. كما أن أية محاولة لفهم الحاضر، الذي يشكل مستقبل الماضي، ويدين لذلك الماضي بالمقدمات التي أنتجته، وعدم القدرة على وضعه بالمكان المناسب من المسيرة التاريخية للأمة- من الماضي- هو لون من العبث بالحاضر، والعجز عن فهم سننه وسره من الداخل، ومن ثم انعدام القدرة والفاعلية للتحكم بمساره، والتعرف إلى القوانين والسنن التي تحكمه، كما أن عدم فهم الحاضر، بوصفه نتيجة صارت إليها مقدمات الماضي، سوف يحول دون إمكانية الإنسان، واستشراف المستقبل وكيفيات بنائه من خلال مقدماته في الحاضر، ذلك أن الحاضر هو ماضي المستقبل.

والمتأمل في الآيات القرآنية بصورة عامة، والقصة القرآنية بصورة أخص وبيانها في السنة، وتطبيقاتها العملية في السيرة، يمكن أن يلمح كثيرا من النماذج لكيفيات التعامل مع الزمن بأبعاده الثلاثة، حيث أضيف التاريخ الإنساني بتجاربه إلى التاريخ الإسلامي، ولم يكتف بتجارب الجماعة المسلمة للإفادة من رصيد التجربة الإنسانية وإدراك السنن والمسارات التي يتم من خلالها فهم الحاضر وحمايته من السقوط، ومحاولة استشراف المستقبل وحسن بنائه في ضوء هذه السنن التي لا تتخلف، وجعل الزمن شرطا ووعاء للفعل وأجلا له فلكل شيء أجل، ولكل أمة أجل، ولكل سنة أجل «ولكل أجل كتاب» [الرعد: ٣٨].

لذلك فأية محاولة للاستعجال والقفز من فوق سنة الأجل وحرق المراحل، وتعطيل عامل الزمن وعدم حسابه بدقة، في ضوء الإمكانات المتوفرة وعدم الانتباه إلى المعوقات التي قد تحول دون الوصول إلى الثمار وتسهم بتأجيل الأجل أو بمد الأجل قد تؤدي إلى لون من اليأس والإحباط. وما قصة «خباب» الذي جاء يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم المتوسد في ظل الكعبة الدعاء للخروج من الحال واستعجال النصر، والمستقبل، وجواب الرسول صلى الله عليه وسلم له مستشهدا بالزمن الماضي لإدراك الحاضر، ورؤية المستقبل بقوله: «ولكنكم تستعجلون»، إلا بصيرة من بصائر التغيير.

فالرغبة في القفز فوق الزمن وطي المسافة الزمنية للفعل الحضاري، ورغبة الوصول إلى النتائج بسرعة، وبقليل من المعاناة والتمني السريع، بعيدا عن توفر الإمكانات التي يشكل الزمن حيزا أساسيا فيها، تعد ظاهرة بشرية طبيعية، لم يخل منها عصر ولا زمان. وكثيرا ما تقود الناس في طريقهم إلى التغيير الحسابات المخطئة والتورطات غير المحسوبة بدقة بسبب نزعة الاستعجال، إلى ضروب من المجازفات والممارسات التي تمكن لخصومهم وتسهم سلبيا في التراجع والارتكاس، قال تعالى: «خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون» [الأنبياء: ٣٧]، «وكان الإنسان عجولا» [الإسراء: ١١].

والإنسان في طريقه إلى التغيير سوف يدفعه التعجل، المركوز في خلقه وطبعه إلى التهور، إذا لم يكن قادرا على إبصار الآيات والسنن والأقدار الموقوتة، حيث إن فقه الآيات والسنة، هو الذي يضبط عملية التعجل، ويحول دون المجازفة، التي قد تذهب بحاضره، وتقضي على مستقبله وتطلعاته، كما أن الإدراك بأن الزمن وعاء للفعل، وليس صانعا له، يمنح الفرد قدرا أكبر من الحرية، لاستكمال الأدوات التغييرية.

لذلك فالنظر المخطئ للزمن في أثناء وضع خطط التغيير، والتحويل الثقافي، واعتباره هو المتحكم بالفعل، ومحاولة قراءة موقع الزمن من الفعل النبوي في السيرة بصورة مغلوطة، حمل بعض العاملين للإسلام على أن يعطوا لأنفسهم، ولإنجاز فعلهم، المحددات الزمنية للمراحل نفسها، التي مرت بها الدعوة الإسلامية في عصر النبوة من دون النظر إلى الإمكانات، والعوائق، وبذلك وقعوا -كما أسلفنا- بالنظرة الدهرية والجبرية الزمنية التي يتنكرون لها، وأصبحوا لا يقلون قصورا عن الذين يسقطون عنصر الزمن من برامجهم ومناهجهم وخططهم التغيرية.

المصدر: رؤية في منهجية التغيير | عمر عبيد حسنة

الاستهلاك وصوت الفقير الضائع

بقلم كريم أبو زيد

بنى الغرب -وتحديدا الولايات المتحدة الأمريكية- نموذج «السعار الاستهلاكي» اللامحدود بوصفه قيمة للحياة ومعنى وهدفا من الوجود، وانصبغ المجتمع الأمريكي بهذا النهج، وغدا سلوك الاستهلاك سلوكا روتينيا يوميا ومسلما من مسلمات حضارة الفردوس المزعومة، وقررت ما أطلق عليها الدكتور «عبد الوهاب المسيري» اسم «الإمبريالية النفسية» توسيع رقعة السوق لا عن طريق الانتشار الأفقي في الخارج، إنما أولا عن طريق الانتشار الرأسي؛ فحولت نفوس البشر إلى سوق دائم الاتساع تسيطر عليها هذه الامبريالية وتوجهها وتطرح فيها كما كبيرا من السلع، فيقف الفرد أمام وسائل الإعلام في حال عري فكري ليتم عندها تنميطه حتى يدخل الآلة الاستهلاكية، فباتت السلع لا تحقق منفعة الفرد فحسب كما هو المفروض، بل أصبحت مصدرا للسعادة واللذة أيضا. لم تستطع البلاد العربية أن تنأى بنفسها عن تلك الثقافة بسبب موجة التلاقح الفكري الكبير بين العرب والغرب عن طريق بوابات متعددة شكل الإعلام واحدة من أهمها، فكان الأمر لا يعنينا كثيرا نحن العرب إلى أن أصبحت واحدة من الدراسات الحديثة تخبرنا أن استهلاك المواطن العربي في «الإمارات» و«الكويت» و«قطر» بات أكثر من استهلاك المواطن الأمريكي نفسه! وأنه بات الرقم واحد في معدلات الاستهلاك العالمية. وبحسب الدراسة فإن حاجة المواطن القطري إلى مساحة جغرافية -مفترضة- لازمة لتأمين حاجيات الفرد من الموارد الطبيعية، والقادرة أيضا على امتصاص مخلفاته العضوية، تبلغ أكثر بقليل من مساحة عشرة ملاعب كرة قدم، وأنه لو عاش سكان الأرض جميعهم وفق هذا المعدل فنحن نحتاج إلى ٦,٦ كوكب أرضي. هنا نجد أن الأمر بات يعنينا أكثر من أي وقت مضى وأن الاستهلاك بهذا الحجم يتم على حساب جوع الآخرين وتدمير الكرة الأرضية لا محالة. تأسس هذا الطقس في الولايات المتحدة الأمريكية انطلاقا من الإيمان أن الهدف من الإنتاج هو الاستهلاك، وأن الهدف من تزايد الإنتاج هو تزايد الاستهلاك، وأن حياة المرء تكتسب معنى إن هو استهلك، ومزيدا من المعنى إن هو صعد من استهلاكه، وأن الإنسان أساسا حيوان اقتصادي جسماني لا يبحث إلا عن منفعته «الاقتصادية» ولذته «الجسدية»، وأن سلوكه لا بد أن يصبح نمطا حتى يمكن أن يستهلك السلع التي تنتجها خطوط الإنتاج مجتمعة. بل الأخطر من ذلك أن وجدان ذلك الإنسان أصبح فارغا من القيم الروحية التي تحقق الذات كلها، وبات يرى أن خلاصه يكمن في الاستهلاك وحده، ولذا كانت «الحاجة أم الاختراع في الماضي»، أما في إطار السعار الاستهلاكي «فالاختراع أبو الحاجة»، فنحن ننتج لنستهلك لا لأننا بحاجة إلى ذلك الإنتاج، ونشتري لأننا نريد لا لأننا نحتاج إلى تلك السلع، في سعي إلى إرضاء موهوم للذات، ومن هنا يدخل الإنسان دائرة الإنتاج والاستهلاك التي لا هدف لها، والآخذة في الاتساع إلى ما لا نهاية. أخذ الإعلام على عاتقه هذه المهمة فأصبحت الإعلانات التجارية التي لا يكف التلفاز عن بثها، تهدف بالدرجة الأولى إلى إشاعة النموذج الاستهلاكي لتطويع الجماهير وأدلجتهم وتنميطهم، بحيث يجد الإنسان العادي وغير العادي أيضا نفسه مستبطنا لفكرة أن السعادة لن تتحقق إلا عن طريق الاستهلاك والمزيد من الاستهلاك، فيتوحد تماما بالسلعة ويصبح إنسانا متسلعا ذا بعد واحد، غارقا تماما في السلعة والمادة وفي حال غيبوبة إنسانية كاملة عن الظروف المحيطة به وعن واقعه وتداخلاته المتعددة، فأصبحنا أشخاصا نمطيين جدا، يمكن التنبؤ بسلوكنا بسهولة عن طريق ما نأكل وما نلبس وما نهتم وما نشتري، لا نكلف حكوماتنا عناء التفكير بتداخلاتنا المتعددة، فنحن تبعا لسلعنا نفكر لا أكثر من ذلك. تعلقت قلوب الناس بالأسواق وانغرس ذلك الطقس في لب الوجدان الجمعي، فأصبح الناس يغادرون الأسواق بأجسادهم وقوالبهم ويبقون فيها بأرواحهم وعقولهم يهرعون إليها عند أول فرصة، والمعيار ليس ما نحن عليه اليوم -بوصفنا سوريين- من وضع سيء لحركة السوق وتوفر البضائع، وليس بالإمكانيات المادية المتردية التي بحوزة الإنسان السوري، بل بالرغبات. فهذا السوري الذي يتناول طعامه على مائدة متواضعة، لو أتيح له دخل شهري مريح، فهل سيتجه إلى الاستهلاك بهذه الصورة؟ حقيقة، أن المؤشرات كلها تدل على أن إجابة «نعم» هي أكثر صحة هنا. والمتأمل في هذه الظاهرة المقيتة يرى أن الاستهلاك يجعل لكل فرد منا مملكته الخاصة، فأصبحت مجتمعاتنا مجتمعات فردية بل ممعنة في الفردية، كل فرد في حال تنافس دائم مع من حوله، فهو ذات مستقلة مرجعيتها ذاتها لها قوانينها الخاصة، فرد توقعاته دائما عالية للغاية متطلعة لامتلاك الحصة الأكبر من الكعكة، وسريعا ماينفد صبره، يسعى إلى بلوغ الهدف بصورة دائمة، الهدف هو السلعة والنجاح في الوصول لها، وهذا يتحقق مع كل استهلاك جديد، وبهذا يتم صناعة إنسان قادر على التقدم للأمام وعلى النجاح دوما في الوصول لهدفه، وغير قادر على التقهقر والفشل إطلاقا. إذا العطاء والإنفاق بحسب قيم الاستهلاك يكون موجها إلى الذات دوما لا إلى المجتمع وفق النسق القرآني، فالحديث القرآني المستمر عن «الإنفاق» الذي تكرر كثيرا وبصيغ شتى، لعل أشهرها «ومما رزقناهم ينفقون»، يبين أن الإنفاق لا يتجه إلى السلع المادية لإرضاء النفس وتحقيق مكانتها الاجتماعية من خلال مكاثرة الأشياء، وإنما يتمحور في مشاريع نهضوية اجتماعية تعالج مشاكل المجتمع وتوجد لها حلولا حقيقية، يقول تعالى «يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم». إن الإنفاق هنا محوره «الآخر» لا «الذات» كما في الاستهلاك، وهو لا يتجه إلى الماديات لمكاثرتها، بل إلى «الخير» الذي يهدف إلى مساعدة الفئات الضعيفة في المجتمع، للارتقاء بها إلى المستوى السليم. الفرد بحسب الصياغة القرآنيّة، لا يعمل كل الشهر حتى يضع كل دخله في استهلاك ضائع، يدمر البيئة والنفس ولا يحقق الرضى والسعادة، بل يقتطع منه جزءا مهما لينفقه، ليس في سلات غذائية تشبع الفقير ساعة وتتركه على حاله، بل في مشاريع تنموية تصنع منه فردا فعالا قادرا على العمل بكفاءة، وتحقيق حاجياته بنفسه. إن بقاء ثقافة الاستهلاك على هذا الحال من دون تقنين وموازنة في توجيهه بحسب الحاجة الاجتماعية سيكون هو الضمان الوحيد لأن يبقى صوت الضمير الإنساني غائبا تحت صوت آهات الجائعين.

يوم انتخابك مهزلة

شعر يحيى حاج يحيى

يوم انتخابك مهزلة
ونجاح مثلك «بهدلة»
فدعاية الترشيح – يا مغموز - صارت في القنابل مرسلة
قحطت... فأرض الشام أمست ممحلة
لم يبق فيها غير هذا المسخ منتخبا لأتعس مرحلة!
سبحانه رب الورى ما أعدله!
جعل الغباوة في قفاه
وفي الكلام، وفي الرؤى يبدو البله
يوم انتخابك مهزلة
ونجاح مثلك بهدلة
يا ابن الزرافة، ليلنا ما أطوله!
صارت بلاد الشام - يا مختل، يا محتل - أرضا موحلة
حتى من اليمن التعيس أتى غرابيب السفه؟
لقتال شعب آمن
فديارنا زرعت بأطنان الأذى
وبكل يوم مقتلة
يوم انتخابك مهزلة
ونجاح مثلك بهدلة
لكن إذا ضحك الزمان
وحان وقت الزلزلة
والظلم زال، وشعبنا بصموده قد أبطله
ستقاد نحو المقصلة
ويكون مثواك الأخير – أيا تعيس - على بقايا مزبلة
البهدلة: في القاموس «الخفة والإسراع في المشي»
وفي العامية: العار والخسار والخاتمة المخجلة
المغموز: المتهم، والمشبوه

اسم من زمن الخريف

بقلم ابتهال قدور

مناسبة المقال: رئيس يذهب لانتخاب نفسه على كرسي متحرك، ويعجز عن توجيه كلمة مباشرة إلى الشعب.

أدير وجهي عن الوجه، نبلا ورأفة بأرض مليونية الشهداء؛ فالحرقة المستعرة في تاريخي تحمل الكلمات عجزا.. أشرقت شمس «خلدونية» على الأرض، سبرت دورتها عمق الحضارات، سرى دفء على وجه البحيرات..

اخلع عقلك واتبعني.. وتعلم أيها العربي أين يختبئ نور الأرض حين تغيب الشمس، بين آهتين ذرف «ابن خلدون» دمعة حرقة: أواه، تاه مني فهم كرسي التصقت به الرذيلة. على المقعد نجمكم، استرشدوا به لا تغيبوه فتصبح سماؤكم قفرا، ويذيبكم السأم، وتموتون بالعروبة، تيقظوا إني ولدت لعاقر، من ورائي العدم..» ناولني كفك»، صاح به.. هيا ادفع، هيا اسحب الكرسي وترفق.. حق لجرح العلم أن ينزف على قبضة ذاك المقعد.

وستنطق الأصالة أن بدلوا الأشياء، ثوروا على القديم إن شئتم عدا الأسماء، لا تغيروا الأسماء، ذاكرة التاريخ ستشكو أنكم قد بحثتم عنه في طياتها ألف عام، حتى إذا أدركتموه ضاع منكم في متاهة الترشيح والزحام، هو غارق في صمته. لا بأس، فأوراقه منشورة، أعماله محمودة، وما يدريك لعله في صمته عالم من الحكمة والكلام.. هو باسمكم وبكم ولأجلكم سيتحدى الطغيان، وسيلغي دور السجان، انتظروا يا شعب التحرير فروعة الحب انتظار..

هل أنتهي، فلا يعاودكم صبح ولا يطل وضح النهار؟ تاه على الناس شأنهم، التبست فصول أعمارهم، لكأن الخريف قدرهم، ما عادوا يذكرون من فصول العمر إلاه، لا خشب الصندوق سيسدل ستارة تخفي سوأة اليأس، ولا أقفاله ستطفئ لوعة الأمس. وتذوب شموع أحلامهم، لكن جليد الكرسي باق لا يذوب.. وها أنت شعب جميل لطيف، هذبتك المجازر فأصبحت تجثو على ركبتيك، تسابق الضوء، وقبل أن يرتد إليك طرفك تصيح نعم، ونعم، ونعم، وإن سألوك عن الـ «لا» فأجب، قد روضونا فتعلمنا كيف ننشد من اسمه بركات «الفلق».

*ذاك الذي كان يدفع الكرسي دكتور جامعي وباحث أكاديمي.

سلسة وأخيرا تكلم الصامتون

الفصل الثاني: بعض مصطلحات السجن

عبد الله بن عبد الله | سجين تدمري سابق

١ـ الباحة:
هي الساحة المكشوفة إلى السماء ولا يغطيها سوى أسلاك شائكة متعامدة وممتدة من وإلى سطوح المهاجع المحيطة بهذه الباحة، وهذه الأسلاك وضعت في سجن تدمر في بداية عام ١٩٨٥ بعد أن فر قسم من المساجين من أحد فروع المخابرات في دمشق عام ١٩٨٤، وهذه الباحات -كما ذكرت سابقا- منها الكبير ومنها الصغير، ولكل باحة باب رئيسي وأبواب فرعية تدخل منها إلى الباحات الأخرى، فلا تستطيع مثلا الوصول إلى الباحة السابعة ما لم تمر على الباحة الأولى والثالثة والسادسة وهكذا.

٢ـ المهجع:
هو مكان إقامة المساجين الدائمة في السجن، وهو عبارة عن غرفة كبيرة أو غرف عدة متصلة ببعضها بينها جدران أو ليس بينها جدران، ويحوي كل مهجع من دورات المياه واحدة أو اثنتين ونادرا ثلاث دورات، وصنبور ماء واحد غالبا. يتسع المهجع الواحد الكبير عادة ٥٠ شخصا بصورة مريحة، ولكن كان يوضع فيه حوالي ١٥٠- ٢٠٠ شخص في معظم الأحوال، والنوم فيها يكون بالتشابك؛ أي ينام الرجل ورأسه يقابل قدمي زميله، كما يوضع سمك السردين في علبه. ولكل مهجع باب واحد يطل على الباحة الخاصة به، ويعرف كل مهجع برقم خاص أو اسم خاص كما مر معنا.

٣ ـ البخشة:
هي قسم يقتطع من المهجع وله باب يفصله عن المهجع أحيانا، وبداخله دورات المياه وأحيانا مجلى قديم مهترئ ليس له تصريف إلا على أرض البخشة. أما دورات المياه فحدث ولا حرج عن سوئها وقذارتها وقدمها، وغالبا لا يعمل منها إلا واحدة، ولكن بصورة سيئة أحيانا كثيرة.

٤ـ الشراقات السقفية:
وهي عبارة عن فتحات في أسقف المهاجع قد تكون واحدة في المهاجع الصغيرة أو اثنتين في المهاجع الكبيرة، ويصل طول ضلعها إلى حوالي المتر، يتخللها قضبان حديد السقف طبعا، لمنع هروب السجناء منها، وهي مصممة عادة لتهوية المهاجع، ولكنها كانت تستخدم بصورة رئيسية لمراقبة المساجين والتضييق عليهم جدا من قبل الشرطة، وكانت هذه الفتحات تسبب لنا في الشتاء مشكلة كبيرة جدا إذ ينزل المطر غزيرا جدا علينا من خلالها، مما يضطرنا إلى صنع واقيات من أكياس النايلون، كنا نصنعها بأيدينا بصورة فنية بحيث تفتح لمنع المطر عنا ويعاد ضمها عند هدوء المطر، ويكون هذا الفتح والإغلاق على طريقة رفع العلم وإنزاله على حبال أفقية تحملها، وكل هذا نصنعه نحن المساجين بأيدينا، وتسمى هذه الواقيات من المطر أيضا شراقات، وتعرف تسمية كل شراقة من قرينة الاستعمال.

٥ ـ شراقة الطعام:
هي قطعة كبيرة مصنوعة من أكياس النايلون تدمج على طبقات عدة من أكياس الخبز الفارغة بعد أن تفتح على طولها الكامل وتجمع منها عدة مجموعات، لتصبح بحجم البطانية تقريبا، وهذه الشراقة نرميها من النوافذ الجانبية للمهجع عندما ينادي رئيس السخرة ويطلبها لتوزيع الطعام عليها، ولاسيما الخبز أو الخضروات أو الفواكه أو ما شابه ذلك أو الصابون أما بقية الطعام المطبوخ فيوزع بالجاطات.

٦ـ الجاطات:
هي أوعية كبيرة من البلاستيك وقد يرافقها دلاء كبيرة أحيانا لوضع الأطعمة السائلة فيها، وهذه الجاطات تكون غالبا مكسرة ووسخة لدرجة تشمئز منها النفوس لأنها لا تنظف بصورة جيدة، وإذا سمح لنا بتنظيفها فلا نعطى الوقت الكافي لذلك، وعادة لا يسمح لنا بأكثر من نصف دقيقة لغسلها مما يجعلها تخرج كما دخلت، وهي توضع فوق بعضها بعد أن تنقل من مكان توزيع الطعام الوسخ جدا والمليء بالمازوت وشحوم السيارات الذي يترسب في مكان تفريغ الطعام من السيارات.

٧ ـ حضرة الرقيب:
ما إن يدخل السجين إلى سجن تدمر ومنذ أول لحظة لا يسمح له بالتعامل مع الشرطة أو السجانين أو ضباط السجن إلا بمناداته بلقب «حضرة الرقيب»، فالسجين لا يعرف إلا حضرة الرقيب مهما كانت رتبته، والسجين لا يميز سجانا من الآخر إلا من صوته حيث إنه لا يسمح لأي سجين أن يفتح عينيه وينظر إلى أي رقيب أو إلى أي موزع طعام من السخرة، وهذا ما سيأتي تفصيله فيما بعد.

٨ ـ تقديم الصف:
يعد سجن تدمر سجنا عسكريا بكل معنى الكلمة، لذا لا بد عند كل فتح باب أو إغلاقه أن يقوم أحد أفراد المهجع بتقديم الصف لحضرة الرقيب، إذ يقول: «انتبه، استعد، المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب»، وبكلمة «انتبه» يكون الجميع قد أصبح واقفا بأسرع ما يمكن، هذا عند كل فتح للباب، أما عند إغلاقه فيقول: «انتبه، استعد، المهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب»، وعند قول مقدِم الصف كلمة «انتبه» أو كلمة «استعد» يقوم الشباب في الحالين بضرب أرجلهم في الأرض بقوة، والذي يقدم الصف يعد رئيسا للمهجع أو شاويشا له ويعين عادة من قبل الشرطة أو باتفاق شباب المهجع على تعيينه وتوافق عليه إدارة السجن، وهذا التقديم للصف يجب أن يتكرر عند كل فتح أو إغلاق للباب مهما كثر عدد مرات فتح الباب، ولذا يجب أن يكون رئيس المهجع مستنفرا في أوقات النهار كلها وحتى في بعض الأحيان ليلا، ولذا لا بد له من معاون يسمى معاون رئيس المهجع.

٩ ـ الندوة:
هي غرفة متوسطة بنيت في عام ١٩٨٢ في وسط الباحة السادسة مقابل ساحة الإعدامات على أيام المقدم «فيصل غانم»، وكان يشرف عليها المساعد «محمد خازم» وسلمها لأحد المساجين الذي عرف بسلوكه السيء وحبه للمال وضميره المنحط وكان يعرف باسم «أبو عوض»، وهذا الرجل كان يساعد المساعد محمد خازم على سرقة أموال الناس بطرق شتى، منها رفع أسعار الخضروات والفواكه التي يجلبها عن طريق الندوة إلى أسعار خيالية، كما كان يرفع سعر الشاي أيضا إلى أضعاف مضاعفة، والويل كل الويل للمهجع الذي لا يتعامل مع هذه الندوة أو لا يغذيها أو لا يشتري منها، وكذلك كان من أهم مصادر هذه الندوة سرقة الأغراض التي يحضرها الأهالي لأبنائهم في الزيارات ثم بيعها لمهاجع أخرى، وقد وصلت الوقاحة بالإدارة أن كانت تبيع هذه الأغراض لأصحابها الأصليين الذين جاءت لهم من أهلهم وسرقت منهم، ومن حسن الحظ لم تدم هذه الندوة إلا حوالي سنتين، وقد كانت الإدارة تحضر لنا عن طريق هذه الندوة لوازمنا من ثياب وطعام إضافي وبعض اللوازم الأخرى التي نشتريها بأموالنا طبعا، أما الندوة الأساسية للسجن فهي ندوة دائمة رسمية من مؤسسات السجن الأساسية، وهي التي تحضر لنا الفواتير الدورية كل شهر أو شهرين أو ثلاثة أشهر أحيانا وبأسعار خيالية أيضا، كما كانوا يحضرون الدخان للمدخنين وهذا كان من أكبر المصائب علينا جميعا، ولاسيما على المرضى، وبالأخص مرضى الربو والسل والأمراض الصدرية.

١٠ ـ الطماشات:
بقي السجن في السنوات السبع الأولى لا يعرف ما يسمى «الطماشات» في داخل السجن، ولكن بعد عام ١٩٨٧ بدأت تفرض علينا الطماشات، وهي عبارة عن قطعة من القماش توضع على العينين وتربط إلى الخلف بصورة شديدة يمنع تحركها أبدا، وهذه يجب أن توضع في أثناء النوم، وفي أثناء تنقل السجناء في السجن عندما ينقلون من مهجع لآخر أو عندما يؤخذ أحدهم إلى الإعدام أو إلى الزيارة أو إلى التحقيق أو إلى أي مكان خارج المهجع، ولا ترفع الطماشة عن العيون إلا عند التنفس الجماعي أو الحلاقة أو الحمام أو في أثناء النهار في المهجع، ولا يسمح لأحد مهما كان السبب أن يرفع رأسه وأن ينظر إلى شراقة السقف إذا لم يكن واضعا الطماشة على عينيه.

١١ ـ التعليم والتعليم الأبدي:
عندما يريد أي سجان شرطيا كان أم رقيبا أن يعاقب أحد الأخوة «والسجان خارج المهجع» من فوق الشراقة السقفية ينادي عندها السجان رئيس المهجع أو الشاويش ويقول له علم هذا الشخص أو ذاك أو هؤلاء الأشخاص، وعندما أطلبهم تخرجهم لي إلى خارج المهجع لإيقاع العقوبة عليهم، والتي تتراوح بين ضربة كف أو كفين أو أشد العقوبات من الضرب واللكم والعفس والرفس، وقد تودي هذه العقوبة بحياة الأخ المعاقب أحيانا أو تكسر له ضلعا أو أضلاعا أو تكسر له فكا أو رجلا أو يدا أو تثقب أمعاء تودي به إلى المستشفى إن كان حظه جيدا، وقد تكون العقوبة أحيانا بأن يقول السجان لرئيس المهجع علم فلانا أو مجموعة معينة تعليما أبديا أي إنه يطلبهم كلما شاء مرات ومرات لتعذيبهم العذاب الشديد حتى يشبع غريزته السادية الإجرامية الحقيرة، وقد يؤدي ذلك إلى عاهات دائمة أو موت في كثير من الحالات أو ما لا يدري عقباه إلا الله حتى يهيئ الله لهم فرجا من عنده ويكف الله أذى هذا السجان عنهم، والغريب كل الغرابة أن هذه العقوبات اليومية أو الأبدية لم يكن لها سبب موجب في الحالات معظمها إن لم يكن في كلها، أي إنها كلها ظلم بظلم فوق ظلمات السجن كلها، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

وهناك مصطلحات كثيرة لم نعرج عليها سيأتي بيانها من خلال عرض المأساة الملحمية التي دامت عشرين عاما.

وتئن ذاكرة الليالي

شعر جمانة يكن

وتئن ذاكرة الليالي.. تشتكي من هول أوجاع الحيارى
من نزيف عم أرجاء الوطن
من غياب، من بعاد، من شجن
ونحيب أطيار البراري طال حتى أثخن الدمع اصطباري
في زواياها العتيقة، في أماسيها الرقيقة، في مبانيها الرشيقة،
بعض أحلامي تراءت
واستحالت بعد قصف وانفجارات : دمارا
وركاما... وأماني
أهلها: ما بين ناج أو شهيد أو جريح... أو منافق
وجهها: مذ ذاك شابته الكآبة.. والمشانق
حدثوهم.. عن ألوف قتلت
أو شردت، أو شوهت،
حدثوهم.. عما غدا تحت الركام
عن عذابات السجون
حدثوهم.. عن بلاد ضيعت
أواه يا شام الهوى.. قد سرت في نبضي
وإن النبض راوده اختناق
سجنا كبيرا قد غدوت، والقيد مزق أضلعي
وأحن يوما للتلاقي.. وتئن ذاكرة الليالي
فاحمليني يا طيور الشوق أنظر حالها
وأقبل الأرض الندية أنبتت أبطالها
حلقي بي فوق هامات الجروح الشامخة
ودعي فؤادي يرتوي من فيض أحزان الشآم
أوجعت روحي.. فاسلمي لي يا شآم

ثورة على الثورة

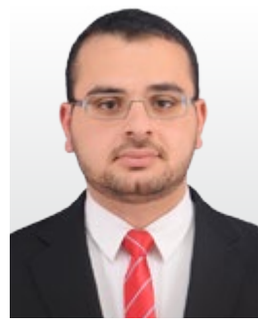

إبراهيم عبه جي

وعادت «حمص» مرة أخرى إلى يد النظام بعد عشرين شهرا من الحصار فيما سمي «هدنة» تم الاتفاق عليها مع بعض الفصائل العسكرية، وبغض النظر عن الظروف التي أدت إلى توقيع هذه الهدنة والدوافع التي دفعت من يمثل الثورة للقبول بها، فإن الصورة الكاملة للمشهد في حمص صورة مأساوية بلا شك، فحمص عاصمة الثورة السورية وأهم مدينة ثورية على الإطلاق، والمشعل الذي حمل لواء الثورة وأذكى نارها أكثر من سنة تقريبا، أصبحت اليوم بصورة كاملة تحت سيطرة النظام.

المخططات التي تحاك لحمص ولأهلها ليست جديدة، فالمشروع الذي عرف باسم مشروع «حلم حمص» قبل الثورة كان يستهدف تطهيرا عرقيا للمدينة، وتهجيرا لأهلها السنة أو إبعادهم من وسط المدينة ومركزها باتجاه الأطراف، وإحلال العنصر العلوي لتكون له السيطرة على المدينة، وفي الحقيقة فإن مخططات كهذه لا يمكن أن نستقي منها سوى مدى الفائدة التي استفادها النظام من الصهاينة في طريقة احتلال الأراضي وتهجير سكانها منها. وعندما بدأت الثورة بعد ذلك، عاشت حمص مجازر طائفية ممنهجة نتيجة مشاركتها الفاعلة في الثورة، كانت تهدف فعليا إلى إخافة السكان وترويعهم وتهجير غالبيتهم خارج المدينة، فقد عاشت حمص أياما دموية لا تنسى في مجازر «كرم الزيتون» و«العدوية» و«البياضة» وغيرها، ثم جاء حصار حمص ليكون بمثابة خنق لها وإنهاك لمن تبقى من أهلها المنهكين أصلا، حتى يجبروا على الخروج، ولقد كان ما كان. ولذا فلقد استمات النظام للسيطرة على المدينة خلال الثورة، وهو يخطط منذ سنوات كثيرة لتغيير واقعها الديموغرافي، وللأسف فقد حصل على المدينة بعد سنوات من التعب والإنهاك والمعاناة، وسوف تطرح حمص مستقبلا على أية طاولة حوار باعتبارها مكسبا مشروعا للنظام وضمن حدود سيطرته وسطوته.

مصيبة مثل مصيبة حمص وراءها سببان اثنان طالما تغاضينا عنهما وعن مدى تأثيرهما وخطورتهما.

فالسبب الأول: المال السياسي ومدى تضخمه الهائل في الأوساط المعارضة، مما يصعب معه وبشدة اتخاذ قرارات مستقلة حقيقية ذات إرادة نابعة من مصالح الشعب السوري، بل أصبحت الولاءات والمصالح الإقليمية والدولية تلعب دورا كبيرا في تسيير درب الثورة ووجهتها، مما يشكل خطرا كبيرا على استقلال البلد ووحدته، فتعدد مصادر المال السياسي سيصنع من سورية الموحدة سابقا كيانات مقسمة ومجزأة ودويلات فاشلة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

فعلى سبيل المثال، ما معنى أن يكون هناك فصيل عسكري ثوري مسلح بأسلحة وعتاد ضخم -وآخرها صواريخ «تاو» الأمريكية التي تناقلت وسائل الإعلام الأنباء حولها- ثم يرفض هذا الفصيل العسكري لشهور طويلة إطلاق طلقة واحدة في جبهة حمص؟

وما معنى أن تمنع بعض الكتائب -التي تتمركز في الريف الحمصي- الكتائب القادمة من الشمال من المشاركة في المعارك الدائرة هناك؟ بل ما معنى أن تتم مصادرة أسلحة مخصصة للتوجه إلى جبهة حمص من قبل كتائب تدعي أنها تنتمي للثورة؟

هذه الأمثلة وغيرها إنما هي دليل قاطع على أن البيادق الذين يمثلون الإرادة الدولية يعملون بجد ضمن دائرة الرغبات الدولية التي كانت وما زالت تسعى جاهدة باتجاه تسليم حمص للنظام، فلقد عجز العالم -بحسب زعمه الكاذب- عن فتح ممرات إنسانية للمحاصرين بحمص طوال مدة حصارها المؤلمة، ولكنه لم يعجز عن المباركة على أكبر عملية تطهير عرقي عرفتها سورية.

مشكلة المال السياسي تتضخم يوما بعد يوم، فباسم المساعدات والدعم يتم شراء الولاءات والذمم، وللأسف فإن الغالبية العظمى ممن يتصدر المشهد اليوم سواء عسكريا أم سياسيا قد تطاله الشبهات لو كان هناك تحقيق جاد حول الموضوع.

أما السبب الثاني: فهو الاجتهادات الفردية؛ فعليا أصبحت الاجتهادات الفردية هي السمة الغالبة على مجمل القرارات الثورية سياسيا وعسكريا، فلقد تضخمت الذات الفردية عند البعض وأصبحت تفوق وتعلو على مصلحة الوطن، ولقد شهدنا نكسات كبيرة خلال الأعوام الثلاثة الماضية بسبب هذه النقطة، بغض النظر عن التضحيات العظيمة كلها التي قدمها أبناء حمص الجريحة، ولكن متى أغنت البطولة عن المشورة؟

يبدو أننا مازلنا نعاني -بوصفنا مجتمعا ثوريا- من مشاكل عويصة في الفهم والإدراك وتقديم الأولويات، ومسؤولية حدوث مأساة حمص تقع على كل من يتصدر المشهد -مهما كانت تسمياتهم أو انتماءاتهم- أو مهما كان اختصاصهم؛ سواء أكان عسكريا أم سياسيا، ولذا فلقد أصبح من الواجب اليوم أن نقيم ثورة على من يمثلنا بداية قبل أن تتسع سلطاتهم علينا ويصبح من الصعب القيام بذلك لاحقا، وما اعتراف «الولايات المتحدة» منذ أيام بالائتلاف ممثلا شرعيا وحيدا سوى نكسة أخرى تمثلت في توسيع سلطات هذه «الأراجوزات» أكثر فأكثر لضمان تطبيق ما يطلب منهم على أحسن وجه.

الأيام القادمة حبلى بما هو أسوأ للثورة ولسورية وللشعب السوري بصورة عامة «التقسيم مثلا»، ولكنني مازلت موقنا بأن السواد الحالك هو الذي يسبق طلوع الفجر، فتفاءلوا واعملوا.

نفسي الفداء لأطفال رسموا اللوحات، ثم في دقائق فصل الموت أرواحهم عن الأرض، وتساقطت الأجساد؛ صاروا اللوحة، ولونوها بالدم.

لم تكمل اليد المتعبة سطر الحب حتى صرخ الورق: ومن الحب ما قتل.. وكذا دماء العاشقين تباح.

تعليق : فداء فارس

هيئة التحرير

رئيس التحرير
عمر مشوح

مدير تحرير الشؤون السياسية
أروى عبد العزيز

مدير تحرير الشؤون الفكرية
عبدالرحمن الشردوب

مدير تحرير الشؤون الثقافية
أسامة السيدعمر

سكرتيرة التحرير
آمنة ياسين

الهيئة الاستشارية للصحيفة
أ. عادل فارس

المنسق الإداري
أنس علوان

منسق التوزيع
أسعد الرعد

رسام كريكاتير
بلال يو سف

تصميم واخراج
عبدالله ديب

مسئولو الأقسام

بانوراما الأخبار
محمد الميداني

وجهة نظر
دعاء بيطار

محطات فكرية
كريم أبوزيد

سورية المستقبل
عبد الله زيزان

إضاءات في الدعوة
زاهر فخري

ثقافة وفن
الثورة والمجتمع
كيندة تركاوي

أوراق من بردى
أراكة عبد العزيز

الشبكات الاجتماعية
هبة مكي

الموقع الإلكتروني
ميمونة محمد

العلاقات العامة والشؤون الإدارية
رشيدة الرشيد

العهد
صحيفة رسمية تصدر كل أسبوعين عن المكتب الإعلامي لجماعة الإخوان المسلمين في سورية

تواصل معنا

www.al3ahdnewspaper.com

info@al3ahdnewspaper.com
al3ahd@ikhwansyria.com

facebook.com/al3ahdnewspaper

twitter.com/al3ahdnewspaper

instagram.com/al3ahd_newspaper